الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر
- باتنــــة -

كلية الآداب و اللغات

قسم: اللغة العربية و آدابها

دلالة التراكيب في سورة النساء

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير في علم الدلالة

إعداد الطالبة
سميحة الأبيض

إشراف
د/ عادل محلو

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د. بلقاسم دفة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	رئيسا
د. عادل محلو	أستاذ محاضر	جامعة الوادي	مشرفا ومقرراً
أ.د. محمد بوعمامة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضوا
د.لخضر بلخير	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا

السنة الجامعية : 2012-2013/1433 -1434

مقدمـــة

ليس من اليسير أن يبلغ الباحثون في محيط القرآن إلى مرسى وقرار لما يكتنزه من شتى الافكار وبديع القول والبيان ، فكثرت لذلك بحوث القرآن ، وتعددت طرقها ومناهجها وإلى اليوم لم يزل هذا المورد نبعا لاينضب على مر الزمن، يرتاده رواد الفكر والمعرفة يتزودون بأعظم الزاد، ويستروحون بأطيب كلام، ويمدون وينيرون عقولهم بخير مدد.

فالخطاب القرآني نضاخ بأسرار الوجود ، ومكامن المعرفة ومستجمع ذلكم كله خطاب لغوي معجز أخاذ بطريقة الأداء واشراقاتها الروحية والنورانية ، وفيضها الساحر ، ومستجمع هذا أيضا تجليات المعنى وروعة البيان ، ولأجل ذلك جاء اختياري لهذا الموضوع وسورة النساء بالتحديد لأنها مليئة بالأحكام التشريعية التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين وكذلك لتحدثها عن أمور هامة تتعلق بالمرأة والبيت والأسرة والدولة والمجتمع وكانت أغلب الأحكام التي وردت فيها تبحث حول موضوع النساء .

وتطرح هذه الدراسة إشكالية العلاقة بين مستويين لسانيين في الخطاب القرآني وهما : التركيبي والدلالي فـ :

هل لأنواع التراكيب من – اسمية وفعلية وشرطية وظرفية– في الخطاب القرآني – ممثلا هنا في سورة النساء – دور دلالي ؟

وماهو الدور الدلالي الذي يقوم به التقديم والتأخير في تراكيب سورة النساء؟.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع لإنجاز هذا البحث ، أهمها القرآن الكريم وكتب التفاسير لما لها من علاقة وطيدة بهاته الدراسة من بينها التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، والكشاف للزمخشري ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، و نظم الدرر في تناسب الأيات والسور للبقاعي ، إلى جانب مجموعة من الكتب النحوية والبلاغية كـ : الكتاب لسيبويه و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، وجواهر البلاغة للهاشمي ، ومن المراجع اللغوية الحديثة بناء الجملة العربية لعبد اللطيف حماسة ، واللغة العربيه معناها ومبناها لتمام حسان .

ويتكون هذا البحث من مقدمة وخاتمة وتمهيد تعرضت فيه إلى مجموعة من المفاهيم النظرية كمفهوم الجملة والتقديم والتأخير وعرض المدونة ، وكنت قد قسمت سورة النساء إلى جمل فعلية واسمية وشرطية وظرفية ، وكم كان هذا الشق شاقا لأمرين : طول سورة النساء (176) آية وهي ثالث سور القرآن طولا ، والأمر الآخر صعوبة التحديد الدقيق للجملة من حيث ابتدائها ونهايتها حيث أن المعنى أحيانا لا يكتفي بجملة واحدة ويتعداها ، وبعد تقسيم السورة الكريمة إلى جمل ، قسمتها إلى محاور موضوعية واستقر التقسيم على إثني عشر محورا . ومن

ثم قمت بإحصاء أنواع الجمل لكل قسم ونظرت في الإرتباط الدلالي بين نوع الجمل وموضوع المحور والسر في إرتفاع نوع من الجمل على آخر وعلاقته الدلالية بموضوع السورة ، وفي الفصل الثاني تناولت حركة عناصر الجملة في الإطار التركيبي فتعرضت لدراسة التقديم والتأخير ودلالته في السورة الكريمة .

وقد كان المنهج الذي انتهجته في البحث وصفيا وذلك لوصف الجانب التركيبي وعلاقته بالدلالة ، واستعنت بالمنهج الإحصائي إذ إحصيت الجمل في كافة محاور السورة الكريمة ، واستعنت كذلك بالمنهج التاريخي في التمهيد عند عرض المفاهيم .

ولا بد من الإشارة إلى بعض الإشكالات التي واجهتني في دراستي هذه، ففضلا عن طبيعة موضوعي القرآني وما يتطلب من جد وتأنّ في الأخذ والرد في القول، وإيراده بالدليل والحجة، فإن ندرة بعض المراجع كانت إحدى العقبات ، غير أن العون الإلهي، و توجيه أستاذي مهّدا لي السبيل لتخطي هذه الصعاب.

وبعد، فهذا بحثي دلالة التراكيب في سورة النساء ، بذلت فيه جهدي، فإن وفقت لما أملت، وبلغت ما قصدت، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وإن تكن الأخرى، فالخير أردت، والجهد بذلت، ومنه التوفيق والعون، -سبحانه- الذي لا يضيع أجر من عمل خدمة لكتابه الجليل، وألف صلاة وسلام على رسوله الأمين، وعلى آله أئمة الطيبين ، و الله أسأل التوفيق للجميع ، وأن يعرفنا حبه ، فهو الطريق الوحيدة إلى باطن كلامه العزيز ، وله الحمد رب العالمين .

تمهيد

تحديد المفاهيم
في ضوء شبكة العلاقات

أولا : التراكيب في اللغة العربية

ثانيا :أصناف التراكيب

ثالثا :التقديم والتأخير

رابعا :التعريف بالمدوّنة

أولا ـ التراكيب في اللغة العربية :

إن بناء الجملة يقوم أساسا على تركيب عناصر تترابط مع بعضها البعض ، بوسائل ربط ، وعلامات لغوية في علاقات مختلفة ، بحيث تؤدي معنى مفيدا ، هذه

العناصر تشغل وظائف في هذا التركيب ، ولكل وظيفة منها علامات لغوية خاصة بها.

1- تعريف الجملة :

أ- لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : "(جمل) . الجيم والميم واللام ، أصلان :أحدهما تَجَمُّع وعظم الخلق والأخر حُسن . فالأول قولك أجملتُ الشيء ، وهذه جملة الشيء ، وأجملتهُ: حصَّلته ، قال تعالى : ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً﴾[1]. ويجوز أن يكون الجَمَل من هذا لعظم خلقه"[2] .

ولم يبعد ابن منظور في معجمه عن هذا حيث قال " الجمل الجماعة من الناس "[3] . وعلى العموم فلفظة (جملة) تدل على الجمع .

ب- اصطلاحا :

لم يتطرق القدامى إلى تعريف الجملة ، بل لم يظهر عندهم هذا المصطلح رغم شهرته [4] ، ويمكن تعليل ذلك بأن علم النحو لم يكن قد استكمل نموه ، واشتد ساقه ولذا فإن التحديد الدقيق لكثير من المصطلحات لم يكن قد ضبط بعد ، وإذا وقفنا مع إمام النحو " سيبويه " في الكتاب ، لوجدناه لا يذكر المصطلح مطلقا ، بل يستعمل بدلا عنه لفظة " الكلام" ، ومثال على ذلك قوله :" سألت الخليل عن قولهم : أقسمت عليك إلا فعلت ، ولمَّا فعلت ، لم جاز في هذا الموضع ، وإنما " أقسمت" هاهنا كقولك : والله ؟ فقال : وجه الكلام : لتفعلن ها هنا ...."[5] . فسيبويه استعمل لفظة "كلام" ليدل بها على الجملة .

---

[1] الفرقان ، 32.

[2] معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تح: عبدالسلام هارون ، دار الجيل بيروت ، ج1 ،ص 481 (جمل).

[3] لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر بيروت .ط1، 1991، .ج11، ص123 (جمل).

[4] ينظر : بناء الجملة العربية , محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب ، القاهرة ،2003، ص21.

[5] الكتاب ، سيبويه ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3، 1988.ج3، ص106. 105.

لكن بعد سيبويه نرى النحاة على صنفين : صنف لا يفرق بين " مصطلح الكلام " و " مصطلح الجملة " ، وصنف ثان يرى بينهما فرقا ، ويعطي لكل مصطلح تعريفا .

فأما أصحاب التصنيف الأول ، فنجد في طليعتهم ابن جني يصرح في كتابه الخصائص بهذا المفهوم حيث يقول : " أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه ، مفيد لمعناه ، وهو الذي يسميه النحويون الجمل ، نحو زيد أخوك ، وقام محمد ، وضرب سعيد ، وفي الدار أبوك ، وصه ، ومه ، ورويدا ، وحاء وعاء في الأصوات ، وحسَّ ، ولبُّ ، وأفٍّ ، أوَّه ، وكل لفظ استقل بنفسه ، وجنيت منه ثمرة معناه ، فهو كلام "[1] . إذا فـ ابن جني يجعل من المصطلحين مصطلحا واحدا ، ويلتقيان في الإفادة .

كما أن ابن مالك في ألفيته يبدي رأيه ، حيث يتفق مع غيره حول عدم التفريق بين المصطلحين ، وهوفي ذلك يقول :

كلامنا لفظ مفيد كـ"استقم " واسم وفعل ثم حرف الكلم

وقد شرح ابن عقيل هذا القول بما يلي : " الكلام المصطلح عليه عند النحاة ، عبارة عن اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها ، وإنما قال المصنف (كلامنا) ليعلم أن التعريف إنما هو للكلام في اصطلاح النحويين ، لا في اصطلاح اللغوين ، وهو في اللغة اسم لكل ما يُتكلم ، مفيدا كان أو غير مفيد ."[2]

كما جاء شرح صبيح التميمي مقاربا لما ذكره ابن عقيل حيث قول : " (كلامنا) أي الكلام عند معشرالنحويين : عبارة عما اجتمع فيه أمران : اللفظ ، والإفادة المستقلة "[3] .

وأما اصحاب التوجه الثاني ، فأبرزهم ابن هشام الأنصاري ، فهو في كتابه المغني يصرح بذلك حين قال : " الكلام هو القول المفيد ، والمراد بالمفيد مادل على معنى يحسن السكوت عليه ، والجملة عبارة عن الفعل والفاعل ، كـ "قام زيد " ،

---

[1] الخصائص ، ابن جني ، تح: محمدعلي النجار ، دار الكتاب العربي ، ج1 ،ص17.

[2] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،ابن عقيل ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ط16، ج1، ص14.

[3] إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك ، صبيح التميمي ، دار الشهاب ، باتنة، ج1 ص07.

والمبتدأ وخبره ، كـ " زيد قام " ، وماكان بمنزلة أحدهما ..... وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما توهم كثير من الناس " [1].

ثم يضيف قائلا : " والصواب أنه (الكلام) أعم منه ، إذ شرطه الإفادة بخلافها ، ولهاذا تسمعهم يقولون : جملة الشرط ، جملة جواب الشرط، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا ، فليس بكلام "[2].

وعلى العموم فالرأيان يتفقان حول غاية الكلام ، وهو الإفهام والإفادة. ولعل ما يمكن التنبيه إليه هو أن الكلام ماهو إلا جمل تتناسق فيما بينها لتؤلف كلاما يحمل دلالة تامة وواضحة ، مع صحة التراكيب نحوا.

سبق عرض تعريف الجملة عند القدامى ، وتفريق بعضهم بين الكلام والجملة ، لكنهم جميعا لا يخرجون في تعاريفهم عن معنى الإفادة . أما عند اللغويين المحدثين فتعريفاتهم لا تبعد عما ذكره القدامى .

فهذه خولة طالب الإبراهيمي تعرف الجملة بقولها : " هي آخر أقل ما يفيد من الكلام ، كقولك : "جاء الولد" ، " أكل الولد التفاحة ". وهذا التعريف للجملة تعريف دلالي مبني على مفاهيم الإفادة في التبليغ ، وعليه فالجملة هي أصغر قطعة يصل إليها التحليل بما يفيد ."[3]

وأما صالح بالعيد فهو يعرف الجملة بقوله : " الجملة هي الكلام أو القول المفيد الذي يحسن السكوت عليه ، يكون مفردا أو جملة ، والمفرد في المكتوب لا في المعنى ، مثل : نعم ، أجل ، لكن ، أف ،إليك ، تعال ، مه، صه، بلى ، هيهات ، أكلت في جواب السؤال :هل أكلت ؟ وخبزا في جواب سؤال : ماذا أكلت ؟ وكذلك (رِ ، فِ ، عِ ،قِ ، في صيغة الأمر) ولا بد من تطابق عملية الإسناد الظاهر أو غير الظاهر فيما يطلق عليه الجملة ".[4]

---

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[2] إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك ، صبيح التميمي ، دار الشهاب ، باتنة، ج1 ص07.

[3] مبادىء في اللسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي ، دار القصبة ، الجزائر ، 2000 ، ص100.

[4] نظرية النظم ، صالح بالعيد ، دار هومة الجزائر ، 1001، ص25.24

ويذهب تمام حسان إلى أن : " الذي يتكون من عملية الإسناد فيسمى الجملة ، وهي ذات علاقات إسنادية ، مثل : علاقة المبتدأ بالخبر ، والفعل بفاعله، والفعل بنائب فاعله ، والوصف المعتمد بفاعله ، أو نائب فاعله ." [1]

وأما مهدي مخزومي فيعرف الجملة بقوله" الجملة هي الصورة اللفظية الصغرى للكلام المفيد في أي لغة من اللغات ، وهي المركب الذي يبيّن المتكلم به أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه ، ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلى ذهن السامع "[2]، ويقول :"الجملة التامة التي تعبّر عن أبسط الصور الذهنية التامة ، التي يصح السكوت عليها تتألف من ثلاثة عناصر رئيسية هي : المسند إليه ، أو المتحدث عنه ، أو المبني عليه ، والمسند الذي يُبنى على المسند إليه ، ويتحدث عنه ، والإسناد هو ارتباط المسند بالمسند إليه."[3]

إذا كما نرى فمدار التعريفات كلها هو التركيب والإفادة وفكرة الإسناد حتى يبلغ الكلام غايته ، لذا فإن محمد نجيب اللبدي يصف الجملة بقوله " هي لبنة الكلام المرسل وغير المرسل ،وعنصر فقاره الرئيسي ، وقد اختلف فيما إذا كانت مرادفة للكلام أو غير مرادفة ."[4]

وعمدة كلامنا هو أن الجملة قديما وحديثا تبقى المصطلح المقدم والمفضل ، فإذا كانت ذات معنى مفيد فهي الكلام ، وإلا لكانت فقط علاقة إسنادية بين لفظين ، وبالتالي لا يحسن السكوت عليه ، لعدم تأديته الغاية . وتميل الدراسات الحديثة إلى استعمال مصطلح " تركيب" مقابلا للجملة إلا أنني أفضل استخدام مصطلح جملة القديم والراسخ في الدراسات العربية بدلا من مصطلح تركيب الحديث.

2- أركان الجملة العربية :

[1] اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، الشركة الجديدة ، دار الثقافة ، المغرب ،ص194.

[2] في النحو العربي ، نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، بيروت ،1964 ، ص 31 .

[3] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[4] معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، محمد نجيب اللبدي ، دار الثقافة ، الجزائر ، ص52.

تتألف كل جملة من أركان تنتظم فيما بينها ، وتتناسق مع بعضها البعض في ترتيب نحوي معين ، لغاية دلالية محددة ، وتشمل هذه الأركان في المسند ، المسند إليه ، الإسناد ، الفضلات.

وقد اتفق العلماء على أن التركيب يقوم أساسا على فكرة الإسناد ، وقد بينه سيبويه قديما بقوله : " وهما ما لا يستغني واحد منهما على الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بُدًّا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك :(عبد الله أخوك ، وهذا أخوك)ومثل ذلك قولك : (يذهب زيد) فلا بد للفعل من اسم كما لم يكن للاسم الأول بُدٌّ من الآخر في الإبتداء ".[1]

كما وضحه عباس حسن بقوله " واللفظ الذي نسب إلى صاحبه فعل شيء أو عدمه أو طلب منه ذلك يسمى مسندا إليه (أي منسوبا إليه الفعل أو الترك أو طلب منه الإفادة) أما الشيء الذي حصل ووقع ، أو لم يحصل ، ولم يقع ، أو طلب حصوله فيسمى مسندا ، ولا يكون المسند إليه إلا إسما ."[2]

أ- المسند:

يعرفه الأستاذ صالح بلعيد بقوله : " هو أحد ركني عملية الإسناد ، وهو الشيء المثبت أو المنفي أو المطلوب حصوله، يتمثل في : الفعل ، الخبر .

ب- المسند إليه :

هو أحد ركني عملية الاسناد ، وهو اللفظ الذي نُسب إلى صاحبه ، ويتمثل في : الفاعل ، نائب الفاعل ، المبتدأ "[3].

إذا فالمسند في الجملة الفعلية هو الفعل ، والفاعل هو المسند إليه ، وفي الجملة الاسمية المسند هو الخبر ، والمسند إليه هو المبتدأ وبينهما علاقة تكامل لتكوين جملة ذات فائدة .

جـ- الإسناد:

---

[1] الكتاب ، ج1 ص23.

[2] النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف مصر ، 1975 .ج1 ، ص28.

[3] نظرية النظم ، ص24.

هو ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الفائدة التامة أي على وجه يحسن السكوت عليه ، وبالإسناد يتم بناء الجمل .[1] وقد عرفه عباس حسن بقوله : " هو إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه ، أو طلبه منه ."[2]

وميز جمهور النحاة بين نوعين من الإسناد ، أولهما : الإسناد المعنوي ، وهو ما تكون جملته هي المقصودة . والآخر هو الإسناد اللفظي ، ويكون في الجملة التي يراد بها لفظها كله على سبيل الحكاية ، والجملة التي يراد بها اللفظ يحكم بها بحكم المفردات ."[3]

د- الفضلة:

ويقصد بها ما يمكن أن يستغني عنه – في الأغلب- المعنى الأساسي للجملة وهو خلاف العمدة .[4]

وقد عرفها محمد نجيب اللبدي بقوله : " هي خلاف العمدة ، وهي مما يستغنى عنه في الكلام ، وذلك كالمفاعيل ، والتمييز ، والحال ، وليست الفضلة دائما مما يجب أن يستغنى عنه فقد يلزم ذكرها لعارض ، ككونها حالا سد مسد الخبر ، وهو عمدة ، مثل ضربني العبد مسيئا ...."[5]

ثانيا . أصناف التراكيب ودلالاتها في اللغة العربية:

صنفت أنواع الجمل في العربية بناء على فكرة الإسناد[6] ، وفيها ركنان أساسيان : وهما المسند والمسند إليه ، وفي ضوء ذلك صنفوا الجمل إلى فعلية واسمية وكل واحدة منهما تشتمل على المسند والمسند إليه ؛ ف:

. الجملة الاسمية تتكون من مبتدأ (مسند إليه) وخير (مسند) .

. والجملة الفعلية تتكون من فعل (مسند) وفاعل (مسند إليه) .

---

[1] ينظر : معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص107.

[2] النحو الوافي ، ج1 ، ص27.

[3] بناء الجملة العربية ، ص41.

[4] ينظر : النحو الوافي ، ج2 ، ص363.

[5] معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص173.

[6] ينظر : بناء الجملة العربية ، ص37.

واعتبر هذا أساس الكلام وعمدته ، وقد أضاف البعض الجملة الشرطية (ومنهم الزمخشري) ، لأن أساسها يقوم على فكرة التعلق بين جملة الشرط وجوابه[1] .كما أضاف البعض نوعا آخر جديدا ، وهي الجملة الظرفية (ومنهم ابن هشام الأنصاري) وهي– حسب رأيه – ماتكون مُصدَّرة بظرف ، أو مجرور مثل : أعندك زيد ؟ أو : في الدار زيد[2] .

ويقوم هذا التقسيم على فكرة الإسناد ، وقد أهمل النحاة العرب التراكيب غير الإسنادية ،لأنها تقوم على وظيفة الإبلاغ ، واهتمام النحويين ينصب حول القوانين التي تحكم اللغة العربية كنظام[3] .

إذن لا عجب أن يرفض بعض النحاة ذلك التقسيم ، مما دفعهم إلى إضافة الجملة الشرطية ، والجملة الظرفية حتى تعم الفائدة ، وقد قال الزمخشري : " الجملة على أربعة أضرب فعلية واسمية وشرطية وظرفية وذلك : " زيد ذهب أخوه " و" عمر أبوه منطلق " و" بكر إن تطعه يشكرك " و" خالد في الدار " [4].

كما قسمت الجملة على أساس نوعية وطبيعة الإسناد ،أو كما سماها صالح بالعيد التقييم الشكلي للجملة . وأنواعها على هذا الأساس هي: الجملة الكبرى والجملة الصغرى ، وأضاف الأستاذ صالح بلعيد نوعا ثالثا وهي الجملة البسيطة .

فالجملة الكبرى (أو المركبة) : وهي المكونة من جملتين ، أو أكثر (معقدة)، كقولنا : " العلم فوائده متعددة" ، و " رأيت البنات وهن يلعبن ".

والجملة الصغرى : أو (البسيطة حسب ابن هشام): هي المبنية على المبتدأ كالجملة المُخبر بها في المثالين [5]. وقد عرفها الأستاذ صالح بالعيد : أي تلك الجملة التي تكون جزءا متمما للجملة الكبرى [6].

---

[1] ينظر : النحو الوافي ، ج4 ، ص420.

[2] ينظر : مغني اللبيب ج2، ص419.

[3] ينظر : التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة ، صالح بالعيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1994، ص110.

[4] ينظر : التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة ، صالح بالعيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1994، ص131.

[5] مغني اللبيب ، ج4 ، ص424.

[6] نظرية النظم ، ص32.

وأما الجملة البسيطة فهي تلك التي تقوم برأسها ، ولا تتصل بغيرها اتصالا إسنادا مثل : دخل الطلاب[1] .

وعلى العموم فالشكل الغالب في التقسيم هو ما قام على فكرة الإسناد، فالجمل: اسمية، وفعلية ، وشرطية ، و ظرفية أعمدتها المسند والمسند إليه ، فيشكل الفعل والفاعل ، أو المبتدأ والخبر ، جملة بسيطة ، أو مركبة بحسب ما يقتضيه المقام .

وفي الفصل الأول من هذه المذكرة سيُعتمد تقسيم الجملة إلى أصنافها الأربعة (اسمية، فعلية، ظرفية ، شرطية) والبحث في مدلولات استعمال كل نوع منها .

أ- الجملة الإسمية :

- تعريفها :

وهي التي صدرها اسم ، كـ (زيد قائم)[2] . وعرفّها صالح بالعيد الجملة الاسمية بأنها تبتدئ باسم ، ويليها اسم ، أو يليها الفعل أو الحرف ، ففيها المسند إليه أولا ثم المسند [3]. أما عباس حسن فقد عرفها : أنها المبدوءة أصالة باسم "وقد شرح معنى أصالة أي لا يكون التقدم طارئا لسبب بلاغي كتقدم المفعول على فعله "[4].

إذن نقول أن الجملة الاسمية هي التي تبتدئ باسم ، ثم يسند إليها خبرا فتصير جملة تامة المعنى .

- دلالتها :

تفيد الجملة الاسمية الثبات ، لأن أصل وضعها هو ثبوت شيء لشيء آخر ، ولكنها قد تفيد الدوام والاستمرار، إذا اكتنفتها بعض الدلالات والقرائن ، خاصة إذا كان في مقام المدح ، أو الندم[5] ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ

---

[1] المرجع نفسه ، ص32.

[2] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج5 ، ص14.

[3] ينظر : نظرية النظم ، ص27.

[4] النحو الوافي ،ج1، ص466.

[5] ينظر : جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، بيروت ،1994، ط1 ، ص46.

الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾[1] .فالجملة الأولى في مقام المدح ،أي :أن الأبرار في نعيم دائم مستمر .

أما إذا كان خبر المبتدأ جملة فعلية ،فهي تفيد التجدد [2]، كقولك " الدولة تكرم العاملين من أبنائها " فهذا التكريم إذا أمر متجدد غير منقطع.

ب – الجملة الفعلية :

– تعريفها :

وهي التي صدرها فعل ، كـ (قام زيد) ، و(كان زيد قائم)، و (ظننته قائما)[3] .وعرفها صالح بالعيد بقوله :" هي التي تبتدئ بفعل ، أو اسم فعل ، مهما كان زمانه ، ويليها الاسم ظاهرا أو مضمرا ، يكون المسند هو الأول ، ثم يعقبه المسند إليه [4]" .

نفهم من هذا التعريف أن الجملة الفعلية ، قد تبدأ بفعل ، أو اسم فعل ، مثل هيهات ، شتان ،صه....، أما الفاعل فيمكن أن يكون اسما ظاهرا ، أو ضميرا مستترا ، أو متصلا ، وأما الإسناد فهو على عكس الجملة الاسمية ، حيث يذكر المسند هنا أولا ثم المسند إليه ثانيا .

– دلالتها :

الجملة الفعلية وضعت للدلالة على الحدوث في زمن معين [5]، فإذا قلنا :" رجع الجندي من أرض المعركة منتصرا ". أفادتنا حدوث فعل الرجوع في زمن مضى.

كما يمكن أن تفيد الإستمرار التجددي بحسب القرائن والمدلولات [6] ، وليس بحسب الوضع ، ويشترط أن يكون الفعل فيها مضارعا مثل :" بمثلك تعتز البلاد وتفخر" . وهنا تفيد الجملة تجدد استمرار الاعتزاز والفخر، كلما وجد من هو في مقام ابن باديس .

---

[1] الانفطار ، 14.13.

[2] ينظر : في البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة ، بيروت ، ص45.

[3] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج5 ، ص14.

[4] نظرية النظم ،ص27.

[5] في البلاغة العربية ، ص45.

[6] ينظر : جواهر البلاغة ، ص46.

جـ- الجملة الظرفية :

- تعريفها :

وهي الجملة التي تبدأ بما يدل على زمان أو مكان وقوع الفعل ويأخذ معنى الظرفية ، والتي تتمثل في الحرف "في"[1]. كما يطلق لفظة " الظرف" عند الأقدمين على شبه الجملة بنوعيها ,إذا بُدئ بها الكلام كما في المغني لابن هشام [2].

- دلالتها :

الجملة الظرفية لا تقوم بذاتها ، إذا تتعلق بغيرها لتصبح ذات فائدة[3] ، ويقصد بالتعلق هو ذلك الربط المعنوي ، أو التقديري مع ما يجاورها ، لتصبح ذات مدلول تام ، ومفيد محدد ضمن إطار زماني أومكاني ، فإذا قلنا " في الدرج كتاب " فهمنا وجود كتاب في مكان محدد وهو الدرج ، وإذا قلنا " في الصباح جاءت سيارة" .فهمنا حدوث فعل المجيء في زمن محدد هو الصباح .

د- الجملة الشرطية :

- تعريفها :

وهي المركبة تركيبا ثانويا[4] وتقتضي أدوات الشرط وجود جملتين ، لا تستقل إحداهما عن الأخرى ، وتسمى الأولى شرطا ، والثانية جزاء . والجزاء لا يكون إلا متأخرا ، وجملة الشرط لا تكون إلا متقدمة [5].

- دلالتها:

الجملة الشرطية تقتصر على ربط أمر بآخر ، وتعليق الثاني على الأول تعليقا خاصا [6]، فيكونان جملة واحدة بحيث يأخذ كل شطر منها معنى خاصا به ، ويلتحمان بوجود أداة لا يمكن الاستغناء عنها لأن بها يتعلق معنى الشرط .

---

[1] ينظر : الجملة العربية ، محمد إبراهيم عبادة ، الإسكندرية ،ص140.

[2] ينظر : النحو الوافي ، ج2 ، ص243 . وللمزيد ينظر : كتاب مغني اللبيب ،ج2، ص421.

[3] ينظر : نظرية النظم ،ص29.

[4] ينظر : التفسير الكبير، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط3 ،ج1، ص21.

[5] ينظر : شرح المكودي على الألفية ، أبوزيد المكودي، دار الرحاب ، الجزائر، ص177.

[6] ينظر : النحو الوافي ،ج4 ، ص421.

والارتباط في الجمل الشرطية له دلالات ثلاثة ، وهي ارتباط سببي ارتباط تلازمي ، ارتباط تقابلي[1] .

فالارتباط السببي : هو ما يجعل الأول سببا لحصول الثاني ،فجملة الشرط سبب وجواب الشرط مسبب ، كقولنا "إن تطلع الشمس يختف الليل " . فتحقق طلوع الشمس يتسبب في اختفاء الليل .

والارتباط التلازمي : هو ما يكون الجواب فيه ملازما لوقوع فعل الشرط، وبدونه لا يتحقق ، ولا يحصل كقولنا "إن كان النهار موجودا كانت الشمس طالعة " .فوجود النهار ليس سببا في طلوع الشمس ، إنما هو ملزوم ، والجواب لازم له .

أما الارتباط التقابلي : فهو ما يجعل الأول مضافا للثاني، فيحصل بين الجملتين تقابلا وتناقضا ، كقوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ﴾[2] أي أن عدم الورود يقابل ادعاء الألوهية ، ولو كان العكس لقابله أيضا .

ثالثا. التقديـم والتأخير:

تمثل الحركة الأفقية للتركيب محورا من محاور الخلق اللغوي ، يعمل بشكل أساسي على تحطيم الإطار الثابت للأسلوب ولقوانين اللغة ولقواعد الكلام ، وبالرغم من تميز الجملة بحتمية في ترتيب أجزائها تبعا لوجود حركة الإعراب التي تحدد المعنى ، وهذا ما أدركه البلاغيون ، فهم يفترضون الأصل في التركيب يقاس عليه ، والعدول عنه لا يكون إلا لأغراض حددت ووصفت [3] .

فقد عني النحاة بالرتب المحفوظة والرتب غير المحفوظة ، بينما انصب اهتمام البلاغيين على الرتب غير المحفوظة ، فأضافوا إلى مباحثهم بعدا جماليا في

---

[1] المرجع نفسه ، ص422.

[2] الأنبياء ، 99.

[3] ينظر : البلاغة والاسلوبية ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان الناشرون ، الشركة المصرية العالمية للناشر ، لونجمان ، ط1 ، 1994، ص272.

تركيب الكلام من حيث إدراكهم للمستوى الجمالي عند تحريك الكلمة أفقيا إلى الأمام أو الخلف حسب موافقة المقام ومقتضى الحال أو المعنى المقصود .

والحركة الأفقية تتمثل خاصة في التقديم والتأخير والاعتراض .

1 – تعريفـه :

عرّفه الزركشي بقوله : " هو أحد أساليب البلاغة ، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم فـي الكلام ، والقيادة لهم ، ولـه في القلوب أحسن موضع وأعذب مذاق " [1].

وعرّفه الدكتور محمد سليمان ياقوت بقوله : " هو ظاهرة نحوية تطبع الأداء اللغوي في الشعر ، ولها تعليمات أولها يتصل بالدلالة ،حيث يلجأ الشاعر إلى تقديم ما يكون معقد الفائدة وأساس الاهتمام والآخر يتصل بالضرورة ".[2]

إذا فالتقديم والتأخير هو أناقة التعبير ، وسحر جماله ، وتبين غاية الأديب البلاغية ، وحسن تصرفه في لفظه ، كما أنه يكسب الكلام بهاء ، وما يثير في نفس السامع من أثر طويل ، لكن كما قال عباس حسن ألا يكون التقديم والتأخير لضرورة شعرية بحيث لو زال السبب لعاد الكلام إلى أصلـه[3] .

2–دلالتـه :

للتقديم والتأخير دلالات بلاغية متنوعة من أهمها :

أ- التشويق إلــى المتأخر :

وذلك إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة [4]، كقول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

---

[1] البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة ، بيروت ، ط1، 1957.

[2] علم الجمال اللغوي ، محمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1995 ،ج1، ص80.

[3] ينظر : النحو الوافي ،ج1، ص487.

[4] ينظر : في البلاغة العربية، ص133.134.

فقدّم الشاعر المسند إليه وهو (ثلاثة) ، واتصف بصفة غريبة تشوق النفس إلى الخبر المتأخر ، وهو (تشرق الشمس ببهجتها)، لذا عمد إلى التقديم والتأخير حتى يجعل المستمع يشتاق إلى سماع بقية الكلام .

ب . بغرض التخصيص :

وهنا يتقدم ما حقه التأخير ، حتى يصبح الحكم خاصا به ، ولا يتجاوزه إلى غيره ، كقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[1] فجعل العبادة مختصة به –سبحانه وتعالى– ولا تتعداه إلى غيره[2] .

جـ . التعجيل بالمسرة :

وذلك إذا كان المتقدم محدثا في النفس فرحا ، خاصة بعد انتظار ، كقولنا : براءة المتهم حكم بها القاضي، والإفراج عنه تم اليوم .فلفظة (براءة المتهم) قدمت على المسند وهو (حكم) لما يحمله من فرح للنفوس ، ونفس الكلام يقال مع الجزء الثاني من الجملة[3].

د . تقوية الحكم وتقريره :

ويتحقق ذلك حينما يسند إلى الفعل مرتين ، أولهما الاسم الظاهر قبله ، وثانيهما الضمير المستتر العائد على الفعل ، فقولنا: " هو يعطي الجزيل " نريد من خلاله أن نقرر في ذهن السامع ، وتحقق له أن المقصود بهذا الكلام هو أكثر الناس فعلا للجزيل[4] .

ومثله في قوله تعالى (إذا السماء انشقت) فأسند فعل الإنشقاق مرتين : مرة إلى" السماء "، ومرة إلى الضمير المستتر العائد عليه "هي "وتقدير الكلام " إذا السماء انشقت هي فتقديم " السماء" على الفعل أبلغ من تقديم الفعل عليها وأقوى حكما[5] .

هـ . الاهتمام بالمتقدم :

---

[1] الفاتحة ، 5.

[2] ينظر : علوم البلاغة والبيان والبديع ، أحمد محمد المراغي ، دار القلم ، بيروت ،ص97.

[3] ينظر : المرجع نفسه ، 98.

[4] ينظر : في البلاغة العربية ،ص 134.

[5] البلاغة الإصطلاحية ، عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط4 ، 2001، ص201.

وهذا بغرض العناية به ، والاهتمام بشأنه رفعا لقدره ، وجعل المستمع يوليه قدرا كافيا من الاهتمام ، كقوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾[1] إذ تقدير الكلام (وجعلوا الجن شركاء الله) ، فقدم ما حقه التأخير بغرض الاهتمام به [2].

و- التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت :

وذلك خاص بتقديم الخبر المسند على المبتدأ المسند إليه ، نحو قوله تعالى ﴿ وَلكم فِي الأَرْض مُسْتَقر ومتاع إِلَى حِين ﴾[3] . فالشاهد هنا (ولكم مستقر) فلو قال (مستقر لكم) لتوهم السامع أن(لكم) نعت ، وأن خبر المبتدأ سيذكر لاحقا ، وذلك لأن حاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر[4] ، وكقول المتنبي :

وفيك إذا جنى الجاني أناة   تُظن كرامة وهي احتقار

رابعا . التعريف بالمدوّنة :

1 . اللغة العربية والقرآن :

القرآن رسالة السماء إلى الأرض ، نزل بلسان عربي مبين تحدى العرب وهم أهل الفصاحة والبيان على أن يأتوا بمثله فعجزوا عن معارضته، ثم أرخى لهم التحدي ووسع لهم أيما توسعة بأن يأتوا بسورة واحدة ولو من قصار السور يقول تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [5]، فعجزوا مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة .

يلخص عبد القاهر الجرجاني نظريته في إعجاز القرآن قائلا :" أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آياته ومقاطعها , ومجاري ألفاظه ومواقعها ، وفي مضرب كل مثل ، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة ، وتنبيه وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب ، ومع كل حجة وبرهان ، وصفة وتبيان ، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة ، وعشرا عشرا وآية آية

---

[1] الانعام ، 100.

[2] ينظر : علوم البلاغة والبيان والبديع ،ص67.

[3] البقرة ، 36.

[4] ينظر : في البلاغة العربية ، ص135.

[5] يونس ، 38.

فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أحرى وأخلق ، بل وجدوا اتساقا بهر العقول , وأعجز الجمهور ، ونظاما والتئاما ، وإتقانا وإحكاما ، لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه السماء موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول ، وخذيت القروم فلم تملك أن تصول "[1].

ومن المفسرين الذين أكدوا أن معجزة القرآن الكريم في نظمه البلاغي ابن عطية[2] (ت 541هـ) ، يقول " ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى تلو المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر معهم الجهل ، والنسيان ، والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشرا لم يكن قط محيطا "[3].

ثم يؤكد رأيه بقوله :"فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة "[4] . وبتأكيده أن إعجاز القرآن يعود إلى نظمه المتفرد يدحض حجة القائلين بالصرفة . ثم يقول " والصحيح أن الإتيان بمثل هذا القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين ...وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب بأن يوجد أحسن منها لم يوجد "[5] .

وقد نهج الإمام فخر الدين الرازي[6] (ت606هـ) هذا النهج وعقد فصلا في كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) لإثبات معجزة القرآن ، خلص فيه إلى أن القرآن معجز بنظمه البلاغي بعد أن رد كل حجة سواها .

---

[1] ينظر دلائل الإعجاز :ص 39.

[2] هو الإمام أبو بكر أحمد بن القاسم بن عطية ، أحد الحفاظ الرحالة ، قيل عنه أنه ثقة، ولد سنة 480هـ ، ومات سنة 540هـ، وقيل 546هـ . (تهذيب سير أعلام النبلاء ، ج1 ، 504) .

[3] ينظر: المحرر الوجيز ، ج1 ، ص52.

وكذا الاتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ، عالم الكتب بيروت ،ج 1، ص119 .

وكذا أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ، ص15 .

[4] ينظر : المحرر الوجيز ، جزء 1 ،ص52.

[5] ينظر : المحرر الوجيز ، ج 1 ،ص52.

[6] هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الملقب بفخر الدين والمعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعي ..... له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم . توفي سنة 606 هـ بمدينة هراة .

وهكذا لا نجد عالما من علماء السلف إلا وقد أدلى بدلوه في هذه الفضيلة التي استحوذت على اهتمام الجميع . فهاهو ذا السيوطي [1] صاحب (الإتقان) و(تفسير الدر المنثور) يستعرض في إتقانه الآراء المختلفة في وجوه إعجاز القرآن[2] ، ثم " يرى أن إعجاز القرآن متعلق بفصاحته وبلاغته ، والفصاحة ليست في ألفاظ القرآن ، فإن ألفاظه ألفاظهم ... وبلاغته ليست في معاني القرآن ؛ لأن كثيرا منها موجود في الكتب المتقدمة ، وظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن إنما يتعلق بالنظم المخصوص وحسن التأليف وإلتئام الكلمات ، فجاء أسلوبه الغريب مخالفا لأساليب كلام العرب ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له "[3].

وهكذا نجد في كتب الأولين فكرة إعجاز القرآن قد رسخت واستقرت وتمكنت أيما تمكن عبر الأجيال فلا يمضي قرن من الزمان دون أن يكون حاملا بين ذراعيه رجالا يرددون ذلك في مؤلفاتهم دراسة أو تقليدا حتى أسلمتها يد الزمان لعلماء عصرنا الحديث فهاهو مصطفى صادق الرافعي يتناول هذا الموضوع بمؤلفه (إعجاز القرآن) . وتصدت أيضا لهذه القضية في العصر الحديث الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها (الإعجاز البياني في القرآن).

فهو الذي أعجز العرب المعاصرين لنزوله ، وبعجزهم ثبت عجز غيرهم ، ولا يزال نظمه معجزا على مر الزمان وسيظل مهما تكشف للقرآن من أسرار وأسرار، ومهما خاض في تفسيره أجيال وأجيال ، لأنه كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[4]

2 . فضل سورة النساء :

ينظر : وفيات الأعيان ، ج1 ، 248.252.

[1] شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمان السيوطي الشافعي، توفي سنة إحدى عشر وتسعمائة. ينظر مقدمة كتابه الإتقان .

[2] ينظر : الإتقان ، ج1، ص 116.123.

وكذا تهذيب وترتيب الإتقان ، محمد بازمول، ص54.62.

[3] ينظر: من علوم القرآن وتحليل نصوصه ، عبد القادر حسين ، ص113.

[4] هود ، 1.

هذه السورة العظيمة من السور المدنية إلا آية واحدة نزلت بمكة عام الفتح في عثمان بن طلحة الحجبي ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[1]. وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم وهي من السبع الطوال في هذا الكتاب العظيم .

وروي في فضل هذه السورة الكريمة ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسعود قال:" إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[2]، والآية﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾[3]، والأية ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾[4] ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾[5] . "[6].

وعن ابن عباس " ثمان آيات نزلت في سورة النساء هن خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت " وذكر ما ذكره ابن مسعود وزاد : "﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾[7] ، والآية ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾[8] ، والآية ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾[9]" .[10]

3 . سبب تسميتهـــا :

قال أحد المفسرين : " لما كان مقصودها الاجتماع على مادعت إليه السورتان قبلها من التوحيد وكان السبب الأعظم في الإجتماع والتواصل والتراحم

---

[1] النساء ، 58.

ينظر فتح القدير للشوكاني ، ج1 ،ص411.

وكذا المحرر الوجيز لإبن عطية ،ج 2 ، ص3.

[2] النساء ، 40.

[3] النساء ،31.

[4] النساء ، 48 . 116.

[5] النساء ، 64.

[6] فتح القدير، ج 1، ص 416.

[7] النساء ، 26.

[8] النساء ، 27.

[9] النساء ، 28.

[10] ينظر: فتح القدير ، ج1،ص417.

عادة الأرحام العاطفة التي مدارها النساء سميت (النساء) لذلك ، ولأن بالإتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد "[1] .

كما أن السورة جمعت أحكاما كثيرة تتعلق بأمور النساء ، وفصلت فيها القول من أهمها وأبرزها : إثبات حقهن في الإرث لأول مرة في تاريخ البشرية، فقد كان قبل أمرا مستنكرا لا عهد للناس به ، ولعل هذا هو أخص الأسباب وأقواها في التسمية .

4) المحاور الأساسية لسورة النساء :

بعد قراءة السورة بتمعن وتفحص خلصنا إلى تقسيمها إلى إثناعشر محورا كالآتـــي :

المحـــور الأول : حركـــة المـــال ، الآيـــات 1_ 14 . يتنـــاول حمايـــة أمـــوال المستضعفين من النساء واليتامى ، وحفظ حقهم في الميراث .يقول تعالى﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [2] . وهي رحمة من الله باليتيم لشدة ضعفه وعوزه إلى من يرق له ويتلطف به ويتكفل بشؤونه .

المحور الثاني: أحكام وقضايا النساء ، الآيات 15_28 ، يمضي هذا المحور في تطهير المجتمع من أدران الجاهلية والمرأة بالخصوص حتى تقوم ركيزة المجتمع على أساس سليم يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3] .فالمرأة في الجاهلية كانت تورث كأي قطعة متاع، فأنقذها الإسلام من ذلك وحررها ، كما حرم العضل الذي كانت المرأة تُسامه ، وأعطاها الحرية في إختيار شريكها ، وأوجب على الرجل عشرتها بالمعروف حتى في حالة كراهيتها له فلا يظلمها .

---

[1] ينظر : نظم الدرر للبقاعي ، ج5 ، ص181. وقد غفل البقاعي حين قال: السورتان اللتان قبلها ،لأن قبلها الفاتحة والبقرة وآل عمران .

[2] النساء ، 9.

[3] النساء ، 19.

المحور الثالث : حركة الأموال في المجتمع والأسرة ، الآيات 29_42 ، تناول جانبا من العلاقات المالية في المجتمع وتنظيم طرق التعامل من أجل ضمان طهارة التعامل بين الأفراد، وتقرير حق النساء في الكسب والملك ، و تنظيم مؤسسة الأسرة ، وتوزيع الإختصاصات فيها وتحديد الواجبات من أجل المحافظة عليها وإتقاء عناصر التهديم والتصدع فيها .

المحور الرابع : الصلاة و الطهارة ، الآية 43 ، يدور محور الآية حول بيان أحكام الصلاة التي هي أهم ركائز الإسلام ، وبيان أحكام الطهارة الممهدة لها .

المحور الخامس: الكذب على الله والنفاق ، الآيات 44 _ 70 ، حيث يكشف في هذا المحور عن حبائل الخداع التي انطوت عليه نفوس المنافقين المندسين بين صفوف المسلمين مثل قوله تعالى :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾[1] . وأعجب العجب من هؤلاء المنافقين أنهم لا يفعلون هذا عن جهل ولا عن ظن وإنما هم يعلمون يقينا ويعرفون تماما أن هذا الطاغوت محرم التحاكم إليه ولكنهم إنساقوا وراء الشيطان الذي يريد بهم الضلال الذي لا يرجى منه مآب [2].

المحور السادس : القتل والقتال ، الآيات 71_94 ، يؤكد المحور على التكاليف الشرعية في العبادات والمعاملات ، من طاعة الله وطاعة رسوله ، وتتبعها طاعة أولي الأمر فإنها عنوان الايمان ، من ذلك قوله تعالى :﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] .وأعظم العبادات بعد طاعة الله ورسوله بيع الدنيا بشراء الآخرة رغبة فيما عند الله .

---

[1] النساء ، 60،61.

[2] ينظر : في ظلال القرآن ، ج 2 ، ص 422 .

[3] النساء ، 74 .

المحور السابع : الجهاد والهجرة والضرب في الأرض ، الآيات 95_104، هذا الجزء محوره الأساسي الهجرة إلى دار الإسلام ، وحث المسلمين على الإنضمام للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، يقول تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] .

المحور الثامن : الإنصاف والحكم بالعدل والجزاء ، الآيات 105_126 ، تؤكد الآيات على إقامة العدل بين الناس، جاعلة القاعدة الأساسية في هذا العدل تعامل الفرد مع الله مباشرة ، طلبا فيما عنده سبحانه .

المحور التاسع : أحكام النساء ، الآيات 127_130، هذا المحور مكمل لمابدأت به السورة من علاج ترسبات الجاهلية وإقامة المجتمع على أساس التراحم والتكافل والرحمة بالضعفاء . وتعرضت الآيات ومع محيط الاسرة إلى حالة تهدد أمن المرأة وكرامتها وأمن الأسرة كلها ، حالة النشوز والإعراض , فالقلوب تتقلب والمشاعر تتغير، فهاهو المنهج الاسلامي يتعرض لكل جزئية ولكل صغيرة يمكن أن تحدث في الحياة من أجل المحافظة على كيان الأسرة .

المحور العاشر: الإيمان ولوازمه، الآيات 131_136 ، التذكير دوما بأن لله ما في السماوات والأرض ، ويوجه القلوب الطامعة في الدنيا بأن فضل الله أوسع ، فعنده ثواب الدنيا والآخرة ، ويدعوهم إلى الإيمان بعناصر الإيمان الشامل ، بالله وملائكته وكتبه ورسله ،واليوم الآخر ، ولكل عنصر من هذه العناصر قيمته في تكوين العقيدة الايمانية وقيمته في التصور الاسلامي .

المحور الحادي عشر: المنافقون والمشركون وأهل الكتاب ، الآيات 137_ 175 ، هذا المحور يتحدث عن المعسكرات المعادية للاسلام من الكفار والمنافقين واليهود ، فكان التحذير الرباني من كيدهم وأخذ الحيطة معهم ، ودعوتهم للطريق السليم وتصحيح عقيدتهم .

---

[1] النساء ، 95.

المحور الثاني عشر : أحكام الكلالة ، الآية 176 ، إستكمالا لأحكام الورثة ، تأتي خاتمة السورة تتحدث عن حكم الكلالة ، وربطا بداية السورة بنهايتها في قوله تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[1] .

الفصل الأول

أصنـاف الـجُمـل

ودلالاتها في سورة النساء

[1] النساء ، 176.

أوّلا ـ في المحور الأوّل　　سابعا ـ في المحور السابع

ثانيا ـ في المحور الثاني　　ثامنا ـ في المحور الثامن

ثالثا ـ في المحور الثالث　　تاسعا ـ في المحور التاسع

رابعا ـ في المحور الرابع　　عاشرا ـ في المحور العاشر

خامسا ـ في المحور الخامس　حادي عشر ـ في المحور الحادي عشر

سادسا في المحور السادس　　ثاني عشر ـ في المحور الثاني عشر

أوّلا ـ في المحور الأوّل "حركة المـال":

بعد تصنيف جمل المحور الأول الذي يتناول حركية المال من حيث النوع تحصلنا على الجدول المبين أدناه:

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
19 جملة	12	22	11
% 29.69	%18.75	%34.37	%17.19

ومن خلال هذا الجدول نلاحظ تقاربا في عدد الجمل الفعلية والشرطية وانخفاضا في عدد الجمل الاسمية والظرفية وبما أن موضوع الآيات يتناول تطهير المجتمع من بعض رواسب الجاهلية وحماية مال المستضعفين من النساء واليتامى وفي حماية الاناث خاصه يتيمات صغيرات ونساء مستضعفات وحفظ حقهن جميعا

في الميراث وفي الكسب وفي حقهن في أنفسهن واستنقاذهن من عسف الجاهلية وتقاليدها الظالمة والمهينة، وحماية حقوق الضعفاء وحماية المجتمع بالتالي من الظلم والفتنه وتنظيم الأسرة المسلمة لا يتأتى إلا بالحث على الفعل وعدم الفعل من خلال الإرشاد والتوجيه وليأتي على نحو مقنع كانت صبغة الشرط من أجل الحجة والإقناع ولإبانة كل ذي حق حقه من خلال ضبط الأحكام التشريعية المنظمة لشؤون الاسرة والمجتمع الإسلامي .

1 . الجملة الشرطية:

في المحور الأول تصدرت الجملة الشرطية قائمة ترتيب الجمل من حيث الحضور حيث وردت 22 مرة بنسبة 34.37% وقد اقترنت هذه الجمل بأدوات الشرط التالية : إن (خمسة عشر مرة) ، من (أربع مرات) ، إذا (مرتان) ، لو (مرة واحدة).

وكما هو معروف أن أهم ما يميز الجملة الشرطية ارتباط عبارتي الشرط والجواب فيها فإن الجمل الشرطية في هذا المحور كانت كلها ذات ارتباط سببي؛ حيث عبارة جواب الشرط مسبَّبة عن عبارة الشرط ولازمة لها كما في قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[1]. أي إن كان لأحد يتيمة في حجره ويعجبه مالها وجمالها وخاف ألا يعدل فيعطيها مهر مثلها فليعدل إلى ما سواها من النساء فجملة جواب الشرط (فأنكحوا ماطاب لكم من النساء) بينها وبين جمله الشرط ارتباط سببي كذلك في قوله ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[2]. إن خفتم ألا تقيموا حدود الله في العدل بين النساء فاقتصروا على واحده (فواحدة) جواب الشرط (فإن خفتم إلا تعدلوا) والارتباط السببي جلي هنا أيضا الاقتصار على امرأة واحده عند الخوف من عدم استطاعة العدل ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾[3] وهنا الشرط أتى مقترنا بالأداة إن التي تدل على

[1] النساء ، 3.

[2] النساء ،3.

[3] النساء ، 129.

الأمر غير المقطوع بوقوعه وإن وردت مع غيره فلمغزى بلاغي يدل عليه السياق وهنا عبر سبحانه بأداة الشك حثا على الورع[1] . فقليل هم من يخاف عدم العدل فأكثرهم يقدمون على التعداد دون مبالاة بهذا الشرط الصعب.

ومن المعاني الإعجازية التي حققها أسلوب الشرط هنا ما نجده في قوله تعالى﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[2] قال الزمخشري: " معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب لذهاب كافلهم وكاسيهم "[3] الآية تصور حالة افتراضية بغرض " التخويف بالحالة التي لا يبقى معها مطمع في الحياة ولا في الذب عن الذرية الضعاف وهي الحالة التي وإن كانت من الدنيا إلا أنها لقربها من الآخره ولصوقها بالمفارقة صارت من حيزها ومعبرا عنها بما يعبربه عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك "[4].

2 . الجمله الفعلية :

الجمله الفعلية أتت في المحور الأول 19 مرة مايقارب الكم الذي أتت عليه الجمله الشرطية أي بنسبة 29.69 % ولأن الجمل الفعلية تدل على الحركة مناسبة لهذا الباب الذي يتحدث عن حركة المال من حفظ لمال اليتيم والوصايا والمواريث ولا أدل كالفعل في تبيين حالة آكلي أموال اليتامى ظلما كما في قوله في الاية 10.

وأكثر من نصف الجمل الفعلية في هذا المحور جاءت بصيغة الأمر 8 جمل بصيغة الأمر ، جملتان بصيغة المضارع المقترن بلام الأمر و4 جمل مضارع مسبوق بلا الناهية و3 ماضي وجملة واحدة فعلها مضارع وجملة واحدة فعلها مضارع مبني للمجهول ..

---

[1] نظم الدرر ،الامام البقاعي ،ج 5 ،ص 179.

[2] النساء ، 9.

[3] الكشاف ،ج1 ،ص250.

[4] الكافي الشافي ، ج1 ،ص 250.

في الجملتين الفعليتين (لا تتبدلوا ... ولا تأكلوا)[1]، فيهما تشديد على ترك هذين العملين ففيهما حوب كبير وهو الذنب العظيم في جملة تحوي مؤكدين قويين إن و كان .

وهذا النهي تكرر في ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ﴾[2].حماية لمال اليتيم ودفاعا عن حقوقه وقد صورت هذا الآكل النهم بصورة متلهف بشع يأكل الحرام قبل أن يرشد هذا اليتيم ويطالب بحقه في المال .

والأمر الذي جاءت أكثر من نصف الجمل بصيغته واجب الامتثال إليه وبنفس راضية مطمئنة ففيه حفظ حق الضعيفين المرأة واليتيم وكما هي عادة الأسلوب القرآني خاطب النفوس والعقول إلى حد الانقياد والطاعة بنفس راضية مطمئنة واستسلام تام . "ومفهوم أن كل أمر أو أي توجيه ورد في القرآن الكريم كان يواجه حالة واقعة في المجتمع الجاهلي وكان يتوخى إما إنشاء حاله غير قائمه وإما إبطال حالة قائمة "[3] .

ولا غرابة في كثرة الأمر في سورة تعنى بالتشريعات فالأمر بأسلوب الاستعلاء واجب على المطلوب منه التنفيذ بحكم ما تقتضيه الصيغة فكيف إن كان الآمر هو رب العالمين .

وقد يأتي هذا الأمر من الإرشاد والتوجيه كما في قوله تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾[4]. فصيغ الأمر ارزقوهم واكسوهم وقولوا لهم خرجت إلى معنى الإرادة والتوجيه لما نجد في أسلوب الآية الهادىء الذي يوافق المواقف التعليمية .

---

[1] النساء ، 2.

[2] النساء ، 6.

[3] في ظلال القرآن ، ص8.

[4] النساء ، 5.

ويخرج الأمر للإباحة في ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾[1]. وهي مبالغة في الاباحة وإزالة التبعة كما قال الزمخشري .

ويخرج الأمر من الإلزام والوجوب إلى معنى التخيير كما في الآية ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾[2]. فصيغة الأمر فانكحوا خرجت من الإلزام إلى معنى التخيير فلو أخذت على إطلاقها للزم التعداد لكل أحد فعزز التخيير بعطف الأعداد على الواو حتى يختار البعض الإثنين والبعض الثلاث ويكتفي البعض بواحدة حال الخوف من عقاب الله عند عدم استطاعة العدل ولو لم يكن الأمر على التخيير لوجب على كل الناس أحد هذه الأعداد لا غير .

ولا أدل من الجمل الفعلية في التوجيه والإرشاد والأمر بما فيه صلاح المجتمع من رواسب الجاهلية وإقامة المجتمع الإسلامي القائم على العدل وأسس التكافل والرحمة بالضعفاء.

3 . الجملة الاسمية :

على الرغم من أن السورة الكريمة ابتدأت بجملة اسمية إلا أن الجمل الاسمية في المحور الأول أتت إثني عشر مرة بنسبة 18.75% وهي أقل من الجمل الفعلية والشرطية ويقارب عدد الجمل الظرفية وكما هو معروف أن الجمل الاسمية تدل على الثبات والدوام كان حضورها أقل لأن مسار محور حركية المال وحماية الضعيفين من الأيتام والنساء يقتضي التوجيه بالأمر والنهي لإحداث حركة التغيير على ماكان عليه المجتمع الجاهلي من ضلال . ومن الجمل الاسمية التي أتت﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾[3]. في آية تحث على التقليل من الزوجات حيث الأمر الثابت والمعروف أن

---

[1] النساء ، 4.

[2] النساء ، 3.

[3] النساء ، 3.

الرجال يرغبون في التنويع من النساء وهنا الجملة أتت لتعلل حث الآية من التقليل وعدم الإسراف منهن ليرجح العقل ويحجم عن الإفراط في جمعهن ويحذروا مغبة الإسراف منهن وهذا أسلوب رائع يناقش العقول ويطمئن القلوب من خلال التوضيح والتعليل .

ومن الجمل الاسمية التي كان فيها المسند إليه لفظ الجلالة ودخلت عليها كان واقترنت بإن الناسخة في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1] . وفي قوله تعالى﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[2]. وهذه من الظواهر الأسلوبية التي انفردت بها سورة النساء ، والتأكيد الذي تحمله (إن) و (كان) والتعظيم الذي يحمله لفظ الجلالة (المسند إليه) يتناسب مع محاور السورة الكريمة.

3 . الجملة الظرفية:

وردت الجملة الظرفية في هذا المحور 11 مرة بنسبة 17.19% بنسبة تقارب حضور الجملة الاسمية وأتت الجمل الظرفية مسبوقة بحروف جر منها ست جمل مسبوقة بحرف الجر (اللام) هذا الحرف التي تكرر في سورة النساء 120 مرة وأربع جمل مسبوقة بحرف الجر (من) والذي وواحدة سبقت بحرف الجر (ميم).

ومن الجمل الظرفية المسبوقة بحرف الجر اللام ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾[4]. والمعنى كما قال الطبري" يعني بذلك تعالى ذكره للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه وللإناث منهم حصة منه من قليل ما خلف بعده وكثيرة حصة مفروضة واجبة معلومة مؤقتة "[5]. واللام التي تسبق الجملة كما للاستحقاق وهو نظير

---

[1] النساء ، 1.

[2] النساء ،11.

[3] النساء ، 7.

[4] النساء ، 7.

[5] تفسير الطبري ، ج8 ،ص 597.

الاختصاص وفرع عنه[1]..وهذه الآية نزلت من أجل أهل الجاهلية حيث كانوا يورثون الذكور دون الإناث .

ومن الجمل الظرفية المقترنة باللام الجارة ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾[2].وقد ربطت الظرفية هنا الفروض المقدرة في كتاب الله تعالى بمستحقيها ممن دلت عليهم الآيه الكريمة دون غيرهم من الورثة .

ومن الجمل الظرفية المسبوقة ب (من) الجارة ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾[3].والمعنى الذي تحمله من الجارة هو ابتداء الغاية وكما قال البيضاوي المعنى متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أي هذه الأنصباء للورثة من بعد ماكان من وصيه أو دين وإنما قال بأو التي للإباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لأنها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب إليها الجميع والدين إنما يكون على الندور[4].

ثانيا . في المحور الثاني "أحكام وقضايا النساء":

جدول النسب

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
% 46.55	%39.65	%13.79	%0
26	23	08	00

نلاحظ من خلال النسب في محور قضايا النساء في الجدول ترتيب الجمل بقيت تتصدره الجملة الفعلية حيث هي الأكثر حضورا تليها الاسمية فالشرطية , الاختلاف الوحيد انعدام الجملة الظرفية في هذا المحور .

---

[1] ينظر : مغني اللبيب ،ج1 ،ص 208.

[2] النساء ، 12.

[3] النساء ، 12.

[4] ينظر : تفسير البيضاوي ،ج1 ، ص 434 .

هذا المحور الذي يمضي في تنظيم حياة المجتمع الإسلامي وإنقاذه من الضلال الجاهلي من خلال تطهيره من الفاحشة بغية الوصول لمجتمع نظيف عفيف وتطهير المرأة بالخصوص لأنها كانت ترزح في الظلم والهوان في الجاهلية كل ذلك حتى تقوم ركيزة المجتمع الأساسية على أساس سليم ومن ثم المجتمع على أساس صلب متين .

1 . الجملة الفعلية:

تصدرت الجملة الفعلية قائمة الترتيب من حيث الحضور في هذا المحور الثاني حيث سجلنا 26 جملة فعلية بنسبة 46,55 %.

هذا المحور الذي يواصل التطرق إلى شؤون الأسرة باعتبارها الركيزة الأساسية في المجتمع وبالتالي نقل المجتمع من النظام الجاهلي إلى النظام الإسلامي ومحو ترسبات الجاهلية العالقة وإقامة الملامح الإسلامية والارتقاء بالجماعة المسلمة .

وللأسرة الحظ الأوفر لأهميتها في بناء المجتمع فكانت التعاليم الربانية من خلال الحث على الفعل والأوامر والنواهي لإبانة النهج السوي من الملابسات العارضة في جو الحياة الزوجية من انتشار للفاحشة واستهتار بالحرمات.

ومن الجمل الفعلية التي جاءت في هيئة النفي , الذي هو من أعلى ضروب البلاغة ,عظيم الفوائد لما فيه من تنوع في الأدوات قوله تعالى ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾[1] "كان الرجل إذا تزوّج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر، لتفتدى منه بمالها وتختلع، فقيل: ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهنّ. والعضل: الحبس والتضييق "[2] فجاء النهي الالهي عن عضل المرأة بالمنع من التزويج أو التضييق عليها من أجل افتداء نفسها وليس أدل على التوجيه والإرشاد لتغيير هذه الرواسب الجاهلية ولا يتأتى إلا بطلب الفعل والنهي عنه فجاءت الجملة فعليه لتبرز هذا التغيير والحركية.

[1] النساء، 19.

[2] تفسير الزمخشري ، ج1 ، ص490.

وفي نفس الآية 19 تبع هذا النهي بالأمر في قوله تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[1] وفي البلاغة طلب الفعل من المخاطب استعلاء وإلزاما[2] فأمر بمصاحبتهن بالإحسان والجميل . وصيغ الأمر كثيرة في سورة النساء ولا غرابة في ذلك لأنها سورة تعنى بالتشريعات والضابط فيها ما قاله السكاكي " لا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء يورث إيجاب الإتيان به على المطلوب منه ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع ايجابه وجوب الفعل"[3].أي إذا صدر الأمر بأسلوب الاستعلاء كان على المطلوب منه التنفيذ بحكم ما تقتضيه الصيغة , فكيف إذا كان الآمر أعلى رتبة من المأمور علوا حقيقيا؟ وكيف إذا كان الآمر هو رب العالمين؟.

2 . الجملة الاسمية:

في هذا المحور وردت الجملة الاسمية 23 مرة ما يقارب العدد الذي أتت به الجملة الفعلية بنسبة 39,65 .

يؤكد الخطاب الإلهي بأن باب التوبة مفتوح، والأبواب لا تُغلق في وجه الخاطئين والخاطئات ، والمجتمع لا ينفر منهم إن أرادوا العودة إليه متطهرين تائبين، بل يفتح لهم الطريق ويشجعهم على هذا السلوك حتى أن جعل قبول توبتهم حق على الله متى أخلصوا يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾[4] وقوله ﴿ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[5] وقوله ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾[6]وقوله: ﴿ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّار ﴾[7] إلى قوله ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا

---

[1] النساء، 19.
[2] مفتاح العلوم ،ص152.
[3] مفتاح العلوم ،ص152.
[4] النساء ، 17.
[5] النساء ، 17.
[6] النساء ، 18.
[7] النساء ،18.

لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] هذه الجمل الاسمية المتعاقبة تثبت أن بساط التوبة مطروح وذلك الأصل فيه مهما أخطأ الإنسان طالما يؤوب لربه الكريم."فأولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله: إنما التوبه على الله وكان الله عليما فهو يعلم بإخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب"[2].

3 . الجملة الشرطية:

الجملة الشرطية التي كانت السائدة في محور حركية المال نجدها هنا الأقل حضورا حيث وردت 8 جمل شرطية فقط بنسبة 13,79 وأغلبها اقترنت بأداة الشرط "إن " وجمله واحدة اقترنت بأداة الشرط "إذا"، ومن المعلوم بلاغيا أن (إذا) تستعمل في ماهو محقق الوقوع و(إن) تستعمل في ما يخالطه الشك ويتبع هذا الكثير من المعاني مثل اليقين والكثرة والتأكيد وشدة الرجاء، وما إلى ذلك من استعمالات (إذا) وعكس تلك المعاني وغيرها من استعمالات (إن) حسب ما يقتضيه الحدث الذي يدور حوله السياق.

ومن الجمل الشرطية القليلة في هذا المحور﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[3] هنا لمسة ربانية فريدة في أحوال تعذر العشرة بين الزوجين ، وتفشي الكراهية بينهما و "حتى لا تكون العلاقة الزوجية ريشة في مهب الرياح فهي مربوطة العرى بالعروة الوثقى العروة الدائمة العروة التي تربط بين قلب المؤمن وربه وهي أوثق العرى وأبقاها"[4].

والجملة الشرطية الوحيدة في هذا الجزء التي اقترنت بأداة الشرط (إذا) في قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾[5] جاء في الدرر المصون "قوله تعالى: {حتى إِذَا} : حتى حرفُ ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها

---

[1] النساء ، 18.

[2] تفسير البيضاوي، ج2 ، ص 65.

[3] النساء ، 19.

[4] في ظلال القرآن ، ص934.

[5] النساء 18.

أي: ليست التوبة لقوم يعملون السيئات، وغاية عملهم إذا حضرهم الموت قالوا: كيت وكيت، وهذا وجه حسن، ولا يجوز في «حتى» أن تكونَ جارة ل «إذا» أي: يعملون السيئات إلى وقت حضورِ الموت من حيث إنها شرطية، والشرط لا يعمل فيه ما قبله، وإذا جعلنا «حتى» جارة تعلقت ب «يعملون» ، وأدوات الشرط لا يعمل فيها ما قبلها، ألا ترى أنه يجوز: «بمن تمرر أمرر» ، ولا يجوز: مررت بمن يقم أكرمه، لأن له صدر الكلام، ولأن «إذا» لا تتصرف على المشهور"[1] فالتوبة ليست للذين يصرون على المعاصي ويعملون السيئات فإذا حشرجت نفسه وغرغر قال إني تبت الأن .

ثالثا . في المحور الثالث "حركة الأموال في المجتمع والأسرة":

يتناول هذا المحور جانبا من العلاقات المالية في المجتمع الإسلامي ، ويعتبر حلقة في سلسلة التربية وحلقة في سلسلة التشريع ، وهما في المنهج الإسلامي متداخلان ومتكاملان.

وقد جاءت نسب جمل هذا المحور كالآتي:

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
%42	40%	16%	2%
21	20	8	1

وبالنظر لجدول النسب المئوية نلاحظ تقدما في نسبة حضور الجملة الفعلية 42% تليها الجملة الاسمية بنسبة 40% ونسبة لا بأس بها للجمل الشرطية 16% في ما تكاد تنعدم الجملة الظرفية بنسبة 02%.

1 . الجملة الفعلية :

وردت الجملة الفعلية في هذا المحور مرة بنسبة 42% وهي نسبة معتبرة في هذا المحور الذي يتحدث عن حركية المال وتداوله في الجماعة . وكان للنهي من بين الجمل الفعلية حضور لافت ،حيث وردت ست جمل مقترنة بلا الناهية ، ومن بين

[1] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، ج3 ، ص 625.

الجمل الواردة بهذه الصيغة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[1] نهي عن قتل النفس وحفظ النفس أحد مقاصد الشريعة "ويدخل في ذلك الإلقاءُ بالنفس إلى التهلكة، وفعلُ الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك"[2] .

ومن النهي في قوله تعالى ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[3] إن ماقيد به هذا النهي بوصفه بالباطل مع مافيه من الاستعلاء جعله إلزاميا ، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض، وقدم النهي عن أكل الأموال على النهي على القتل مع أنه أشد وأفضع لما فيه من تساهل وخفاء لا يتفقان للقتل[4] " مما يوحي بأنها عمليه تغيير وتطهير المجتمع من بقايا رواسب الحياة في الجاهلية .

وقد يخرج النهي عن الإلزام على الرغم من أنه من جهة الاستعلاء في قوله تعالى﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[5] "وذكر أن ذلك نزل في نساءٍ تمنين منازلَ الرجال، وأن يكون لهن ما لهم، فنهى الله عباده عن الأماني الباطلة، وأمرهم أن يسألوه من فضله، إذ كانت الأمانيّ تورِث أهلها الحسد والبغي بغير الحق."[6].

ولأن الأمنية عمل قلبي قد لا يستطيع المرء كبحها، لذا خرج النهي عن الإلزام لمعنى بلاغي آخر وهو الإرشاد والتوجيه؛ لمجاهدة النفس فيها وربط مطالبها بما عند الله، يرشد إلى هذا أسلوب الآية الهادئ في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[7] وكذلك خلو الآية من أي دليل على عقاب من ترك ذلك.

---

[1] النساء ، 29.

[2] تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن ،ج1 ،ص175.

[3] النساء ، 29.

[4] التحرير والتنوير ،ج5 ،ص23.

[5] النساء ، 32.

[6] تفسير الطبري ، ج8 ، ص 260.

[7] النساء ، 32.

و جاءت أربع جمل بصيغة الامر منه في "واهجروهن" "واضربوهن" يحمل غرضا آخر هو الإباحة ، ومع الإباحة ورد النهي عن الإسراف في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾[1].

كما دلت الجملة الفعلية على كرم الله وفضله العظيم يؤته على من يشاء من عباده في قوله تعالى ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[2] " يقول : ويعطه من عنده أجرا عظيما،"والأجر العظيم" الجنة، على ما قاله عبد الله. "[3].

و دلت الجملة الفعلية في هذا المحور على الحركية في مشهد لافت يرسم حركة النفوس والمشاعر كأنها شاخصة متحركة في قوله تعالى ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[4].

2 . الجملة الاسمية:

في هذا المحور ترتيب الجملة الاسمية المركز الثاني من حيث الحضورحيث أحصينا 20 جملة اسمية أي بنسبة قدرها 40% ، ،ومن المسلم به أن الجملة الاسمية تدل على الثبات والاستمرار دلت كذلك على قوامة الرجل في الحياة في قوله تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾[5] " قال ابن عباس: الرجل أمين على المرأة تطيعه

[1] النساء ، 34.

[2] النساء ، 40.

[3] تفسير الطبري ، ،ج8 ،ص365.

[4] النساء ، 41.

[5] النساء ، 34.

فيما أمرها به، فهو قائم عليها يقوم بنفقتها، ومؤنتها ويسوق مهرها، فهو فضله (الذي فضله) الله عز وجل عليها."[1] .

ودلت الجملة الاسمية على تنزيه الحق سبحانه وتعالى عن ظلم عباده ولو مثقال ذرة يقول تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾[2] " أي إنه تعالى لا ينقص أحدا من أجر عمله، والجزاء عليه شيئا ما وإن صغر كذرة الهباء بل يوفيه أجره، كما لا يعاقبه بغير استحقاق للعقوبة، إذ أن الثواب والعقاب تابعان لتأثير الأعمال فى النفس بتزكيتها أو تدسيتها، فالعمل يرفعها إلى أعلى عليين أو يهبط بها إلى أسفل سافلين، ولذلك درجات ومثاقيل مقدّرة فى نفسها لا يحيط بدقائقها إلا من أحاط بكل شىء علما[3].

3 . الجملة الشرطية :

جاءت في هذا المحور بنسبة 16% ما يمثل ثماني جمل شرطية خمسة منها اقترنت بالأداة " إن " وجملتين بالأداة " من " . وفي خمس جمل منها كان الارتباط بين عبارتي الشرط والجواب سببيا وثلاث جمل الارتباط تلازميا.

في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾[4] " ومن يُقْدِمُ على فعل ما حرَّم الله اعتداءً وتجاوزاً لحقِّه فسوف ندخله ناراً يحترق فيها"[5] فالنار سببها فعل المحرمات والظلم فبتالي الارتباط هنا بين جملتي الشرط والجواب ارتباط سببي.

---

[1] الهداية إلى بلوغ النهاية ،ج2 ،ص1311.

[2] النساء ، 40.

[3] تفسير المراغي ،ج5 ،ص42.

[4] النساء ، 30.

[5] المنتخب في تفسير القرآن الكريم ،ج1 ،ص 113.

ومن الشرط في قوله تعالى ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾[1] ، ولأن الطاعة الكاملة من الزوجة مظنة للشك لذا جعل الله بهذه الأداة تصويرا دقيقا لواقعهن ، لو استبدلت ب " إذا" لكان أمر الطاعة صعب المسلك خصوصا وأن من شيم الخير في الرجل الترفق بأهله، وأنه ما أكرمهم إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم . والارتباط بين جملتي الشرط والجواب ارتباط سببي ، فالمرأة إن أطاعت زوجها فيما يرضي الله ليس له من سبيل عليها ولا أن يؤذيها أو يضربها .

رابعا . في المحور الرابع "الصلاة و الطهارة":

جدول النسب:

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
05	03	01	0
%55.55	%33.33	%11.11	0

من خلال الجدول نلاحظ تصدر الجملة الفعلية قائمة الترتيب بـ: 05 جمل في محور يتحدث عن أحكام الصلاة والطهارة فلابد من الفعل لإبانة الوصف للوصول للمبتغى ، فيما نصيب الجمل الاسمية 03 جمل ، تليها في المرتبة الثالثة الجملة الشرطية بجملة واحدة.

1. الجملة الفعلية:

تصدرت الجملة الفعلية قائمة تصنيف الجمل بعدد 05جمل من 09 جمل ، بنسبة55.5 % ،وردت بصيغة النهي مرتين، مرة في قوله تعالى ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾[2] لم يشأ الرب الرحيم التشديد على المؤمنين في أول أمر تحريم الخمركما هو معلوم؛ وذلك لعدم الاستطاعة، بل جعل ذلك بالتدريج وهذه درجة من تلك الدرجات أتى النهي فيها على جهة الوعظ والإرشاد بتعليل سبب النهي، وإنما نفرهم الله من هذا الوضع ،وزاد معنى التنفير اختيار الفعل (تقربوا) لدخول النهي

[1] النساء ،34.

[2] النساء ، 43.

عليه دون (لا تصلوا)ونحوه للإشارة إلى أن تلك حالة منافية للصلاة، وصاحبها جدير بالابتعاد عن أفضل عمل في الإسلام[1] للمبالغة في النهي[2].

2 . الجملة الاسمية:

جاءت الجملة الاسمية في المرتبة الثانية بعدد 3 جمل وبنسبة 33.33 % وقد جاءت الجملة الاسمية بصيغة النداء وجاء الحرف (يا) مقترنا ب (أيها) وقد ورد في القرآن الكريم مائة وخمسون آية أستخدم فيها النداء (ياأيها)[3] منها خمس عشر مرة في سورة النساء[4]" " حملت معان بلاغية تناسب مقاصد[5] السورة المباركة ، ومن النداء في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾[6] " فإنه روى أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع طعاما وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضيَ الله عنهم فأكلوا وشربوا حتى ثمِلوا وجاء وقت صلاةِ المغرب فتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلامِ بحرف في النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي عن قربان المساجد"[7].

---

[1] ينظر:التحرير والتنوير ،ج 5 ، ص 61.

[2] ينظر: تفسير أبي السعود ،ج 1 ، ص 523 .

وكذا روح المعاني م2 .ج5 .ص38.

[3] ينظر: كشف الغموض ،ص 96.

[4] جاءت تسع مرات منها نداء المؤمنين بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا). كما جاءت نداء للناس جميعا أربع مرات.كما نودي أهل الكتاب مرتين فقط .وجاء معنى النداء مع حذف أداته مرتين في الدعاء بقولهم ربنا في الآيه 75 ، 77.

[5] من المقاصد الرئيسية في سورة النساء واتفق معها النداء: ا_الحث والتنبيه على وجوب التواصل والتراحم وحفظ الحقوق . ب_التأكيد على التكاليف الشرعيه في العبادات والمعاملات . ج_التهديد والتحذير من أعداء الاسلام . د_النصح والإرشاد لمافيه صلاح المجتمع وصلاح الفرد من الظاهر والباطن .

[6] النساء ، 43.

[7] تفسير أبي السعود،ج2 ،ص 179.

وقد دلت الجملة الاسمية على التأكيد بقدرة الله وعفوه ومغفرته في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾[1] " تعليل للترخيص والتيسيرِ وتقرير لهما فإن من عادته المستمرة أن يعف عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد أن يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فإن الترفيه والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران"[2] . ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله. ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة والإنابة ودعاهم إليه ووعدهم بمغفرة ذنوبهم. ومن عفوه ومغفرته أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا، لأتاه بقرابها مغفرة[3].

3 . الجملة الشرطية:

جاءت في المرتبة الثالثة بنسبة 11.11% في جملة واحدة في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[4] ونجد هنا الارتباط بين جملتي الشرط والجواب ارتباط سببي فالتيمم مسبب ولازم عند فقدان الماء للطهارة أو تعذر استخدامه لمرض أو ما شابه ، كما لا يقبل التيمم في حالات عدم جود موانع من استخدام الماء فهو الأصل في التطهر .

خامسا . في المحور الخامس "الكذب على الله والنفاق":

جدول النسب :

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية

[1] النساء ، 43.

[2] تفسير أبي السعود ،ج2 ،ص181.

[3] تفسير السعدي ،ج1 ،ص179.

[4] النساء ، 43.

%60	%26.66	%12.22	%1.11
54	23	11	1

نلاحظ من خلال الجدول تقدما ملحوظا لنسبة الجملة الفعلية 60% وأقل من نصفها وردت نسبة الجملة الاسمية 26.66 %في ما جاءت نسبة الجملة الشرطية في المرتبة الثالثة 12.22% في ما تكاد تنعدم الجملة الظرفية بنسبة 1.11%.ولعل اكتساح الجملة الفعلية هذا المحور لأنه يتحدث عن المواجهة التي تخوضها الجماعة المسلمة مع الجاهلية التي تحيط بها ومع اليهود بالخصوص، وفي هذا المحور منعرج مهم فمنه ابتدأت المواجهة الخارجية بعد أن كان الحديث عن التنظيمات الاجتماعية والأخلاقية والعائلية وبناء المجتمع من داخله ثم المواجهة مع المعسكرات المعادية المتربصة بالمسلمين من اليهود والمشركين وحلفائهم .

1 . الجملة الفعلية :

تصدرت قائمة الجدول الجملة الفعلية من حيث الحضور حيث وردت بنسبه 60% ، ما يقارب 50 جملة فعلية منها 18جملة كان فعلها مضارعا، و14 جملة فعلها ماضيا ،وتسع جمل بصيغة الأمر، وجاءت 4 جمل بصيغة الاستفهام ودلالته البلاغية التقرير الموصل إلى التعجب وقد تكرر في هذا المحور ومنه قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾[1] في هذه الجملة دخل حرف الاستفهام على النفي لم وبهذا تكون الإجابة بالإثبات في هذا المقام أي بلى رأيت والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين والغرض من هذا الاستفهام مع التقرير التعجب من حالهم التي بلغت درجة كبيرة من الشناعة[2] .ومنه قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[3] دخل في زمرة من يزكون أنفسهم أهل الكتاب دخولا منطقيا لما عرف عنهم من تأصل هذه الخصلة الذميمة ثم ينسب الحكم إلى كل من حذا حذوهم .

[1] النساء ، 44.

[2] ينظر: تفسير أبي السعود ،ج2،ص181.

[3] النساء ، 49.

لقد بلغ السوء باليهود إلى ألا يكتفوا بالضلال الذي يشترونه بل يؤولون صمت معالم الهدى من حولهم، وبلغ بهم الأمر مع الله أن يحرفوا الكلام عن المقصود به ومعانيه وتطاولهم على الله ورسوله وقد كانت الجملة الفعلية الأقدر على حمل وإبانة هذه الأخلاق الذميمة وتفصيل حركية الالتواء لليهود وإبراز تراكم الشناعة التي يأتون بها ويتمرغون في براثنها.

وفي قولة تعالى ﴿ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا ﴾[1] هنا الجملة الفعلية المقترنة بفعل الأمر" آمنوا" هنا طلب الإيمان خرج على حقيقته بل خرج إلى معنى الثبات وهذه الآية من شواهد استعمال صيغة الأمر في طلب الدوام[2]، ولكن صيغة الأمر المختارة في الآية أقوى في تثبيتهم على الإيمان، وأنفذ في التحذير من الارتداد، وفي الآية دليل على أن الإيمان يقوى ويضعف ويتجدد بالاستمرار لما في الحياة من عوامل كثيرة تجذب المؤمن جذبا إلى نقيضه وهذا الرأي يؤيده ما جاء في سورة الفاتحة من قوله تعالى " إهدنا الصراط المستقيم"، مع أن الطالب لهذه الهداية هو المؤمن، إذ معناه : ثبتنا عليه.

وفي إبراز الخطاب الإلهي للأمة بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن ينظر في زعمهم بأن الله يعاملهم معاملة خاصة في قوله تعالى﴿ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾[3] " {انظُرْ} يَا مُحَمَّد {كَيفَ يَفْتَرُونَ} يختلقون {عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ} لقَولهم مَا نعمل بِالنَّهَارِ من الذُّنُوب يغفره الله لنا بِاللَّيْلِ وَمَا نعمل بِاللَّيْلِ يغفره بِالنَّهَارِ {وَكفى بِهِ} بزعمهم هَذَا بِاللَّه بِمَا قَالُوا {إِثْماً مُّبِيناً} كذبا بَينا" [4] فهذا الافتراء على الله يكشف خبثهم وكذبهم الظاهر البين الموجب للعقوبة البليغة والعذاب الأليم.

ومن الصور التي تبرزها الجملة الفعلية في تصوير أحد مشاهد يوم القيامة استغراق العذاب وعمقه زيادة في الالم ترهيبا لمن يستكبر عن عبادته سبحانه في قوله تعالى

---

[1] النساء ، 47.

[2] التحرير والتنوير ،ج 5،ص230.

[3] النساء ، 50.

[4] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ،ج 1، ص71.

﴿ لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾[1] " ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع، كقولك للعزيز: أعزّك الله، أى أدامك على عزّك وزادك فيه "[2] ومالا يخفى هذه الحركية التي تجعل العذاب مستمرا ولا ينقطع لتعمق أسلوب الترهيب التي يتمشى مع أسلوب الترغيب في الدين الإسلامي وليس كالفعل محققا لهذه الأغراض فهو يمنحها من الحركة ما لا يمنحها الاسم في تقريره .

2 . الجملة الاسمية:

المركز الثاني في هذا المحور شغلته الجملة الاسمية حيث وردت بنسبة 26.66% وجاءت على 23 جملة منها 5 جمل جاءت بالمؤكد إن و5 جمل ابتدات بأسماء إشارة . ولأن الجملة الاسمية تدل على الثبات والدوام كان حضورها أقل في محور يتحدث عن بناء المجتمع من الخارج ويتطرق للمعركة بين المسلمين ومن يتربص بهم من اليهود والمنافقين وتثبيت الملامح الإسلامية الجديدة ومحور ما تبقى من أدران الجاهلية.

ومن الآيات التي تكررت في هذه السورة المباركة مرتين، وما كان تكررها إلا لحكمة ، آية تحمل تهديد كبير وفي نفس الوقت أمل عظيم ورجاء مفتوح في قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾[3] " لأن الشرك انقطاع ما بين الله العباد، فلا يبقى لهم معه أمل في المغفرة"[4] فهذا أمر قطعي ثابت لا مراء فيه وسائر الذنوب قد يغفرها ويتجاوز عن زلاتها.

ومن الجمل الاسمية قوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ بِهِ ﴾[5] " يَعْنِي: الْيَهُود مِنْهُم من آمن بِمَا أنزل على مُحَمَّد، وَمِنْهُم من صد عَنْهُ؛ يَعْنِي: جحد بِهِ"[6]، قد خص المولى

---

[1] النساء ، 56.

[2] تفسير الزمخشري، ،ج1، ص522.

[3] النساء ، 48.

[4] تيسير التفسير للقطان ،ج ،ص299.

[5] النساء ، 55.

[6] تفسير القرآن العزيز ،ج1 ،ص381.

أسلاف اليهود بالانقسام والتذبذب ونعى على أخلافهم هذا لأنهم على نهج أسلافهم سائرون تبكيتا لهم ومنقصة وتوعدا بسوء المصير "[1]وهذه الصفات يحملها اليهود في أي زمان فهي ثابتة بثبات الدنس فيهم وما أصدق الحق فاليهود طيلة تاريخهم الطويل لم يدخل في الاسلام منهم إلا القليل ممن قسم الله لهم الخير.

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾[2] " «ما» في (نِعِمَّا) تمييز أو فاعل، والمخصوص محذوف، أي نعم شيئًا شيء يعظكم به، أو نعم الذي يعظكم به ذلك الأمر، وهو رد الأمانات والعدل في الحكومات."[3] فالله سيجازي من أدى الأمانة كما سيعاقب من خانها فهو السميع البصير وهنا وعد للطائعين ووعيد للعاصين فهذا الأمر حقيقة ثابتة واقعة بإذن الله عز وجل .

قال تعالى ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ﴾[4] " فالفضل من الله يستمّد حيثيته من سعى الإنسان[5]." إشارة إلى ما للمطيعين من عظيم الأجرِ ومزيدِ الهدايةِ ومرافقةِ هؤلاءِ المُنعَمِ عليهم أو إلى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البُعدِ للإشعارِ بعلوِ رتبتِه وبعد منزلته في الشرفِ" [6]فالجملة الاسمية هنا تثبت الجزاء الذي ينتظر سعى البشر في ما يرضي الله فلهم عظيم الأجر ورضا الله ، فضل تفضل به على عباده وخير جزيل ووعد جميل.

3 . الجملة الشرطية:

ورد في المحور الخامس 11 جملة شرطية بنسبه تقدر ب12.22 وكانت أربع جمل منها مقترنة بأداة الشرط "لو" وثلاثة جمل مقترنة بأداة الشرط"من" وإثنان بالأداة " إذا" واثنان بالأداة " إن" .

---

[1] التحرير والتنوير ،ج 5 ،ص89.

[2] النساء ، 58.

[3] البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ،ج1 ،ص517.

[4] النساء ، 70.

[5] تفسير الشعراوي، ج 4 ، ص 2392.

[6] تفسير أبي السعود ،ج2 ، ص199.

وكان الارتباط بين جملتي الشرط والجواب في الجمل الشرطية في هذا المحور أغلبه ارتباط تلازمي منه في قوله تعالى﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[1] فإن الشرك بالله يتسبب عنه اختلاق اثم كبير تستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعا.

وفي قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾[2] " فالطارد هو الله، فحين يكون الطارد مساوياً للمطرود، ربما صادف من يعينه، لكن إذا كان الطارد هو الله فلا معين للمطرود[3] وهنا إرتباط تلازمي بين عبارتي الشرط والجواب فلا معين للمطرود الذي لعنه الله بما اكتسب من اثم.

وفي قوله تعالى﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾[4] نزلت توبيخا للمنافقين وتوعدا لهم بعدم المغفرة، ولكنها جاءت بأسلوب الشرط ليكون ذلك بيانا لسبب غضب المولى عليهم وهو رحمان رحيم ،" فلو استقاموا حينئذ من غلوائهم لعلموا أن إرادتهم أن يتحاكموا إلى الكفار والكهنة جريمة يجب الاستغفار منها ولكنهم أصروا واستكبروا. وفي ذكر "لو" وجعل" لوجدوا الله توابا رحيما"جوابا لها إشارة إلى أنهم لما لم يفعلوا فقد حرموا الغفران"[5] فظلموا بذلك أنفسهم لأنهم أضاعوا على أنفسهم نعمة لا تقدر بقدر فاستغفار من سمي بالرسالة منة لم يستحقوها لعظم جرمهم.

4 . الجملة الظرفية:

---

[1] النساء ، 48.

[2] النساء ، 52.

[3] تفسير الشعراوي ،ج 4 ، ص2316.

[4] النساء ، 64.

[5] التحرير والتنوير ،ج5 ،ص110.

تكاد تكون معدومة الجملة الظرفية في هذا المحور فجاءت مرة واحدة بنسبة1.11% وجاءت في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾[1] " أي بريئات من الأدناس والريب والحيض والغائط والبول والمخاط، وغير ذلك من أقذار بني آدم"[2]

سادسا . في المحور السادس "القتل والقتال":

جدول النسب:

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
50	26	32	1
%45.87	% 23.85	%29.35	0.91

مازال القرآن يخوض المعركة مع الضعف البشري ومع رواسب الجاهلية، ويتضح أكثر فأكثر منهج القرآن في التربية وكيفية التعامل مع هذه النفس البشرية التي تحمل من استعدادات الضعف واستعدادات القوة الكثير، وكيف يأخذ المنهج الرباني هذه النفوس ويتلطف بهاويتعامل معها بما ينسق صفوف الجماعة البشرية.

فكانت الجملة الفعلية أيضا هنا متصدرة تصنيف الجمل بنسبة 45.87% وما كان تصدرها عبثا إنما لأليقها وأنسبها بهذا القسم الذي يتحدث عن توجيهات تربوية جهادية ومنهج القرآن في التعامل مع الضعف البشري والحث على القتال والترغيب فيه لإعلاء كلمة الله في الأرض. وفي المرتبة الثانية الجمل الشرطية بنسبة 29.35 %وتليها الجملة الاسمية بنسبة 23.85 %وتكاد الجملة الظرفية تكون معدومة بنسبة 0.91%.

1 . الجملة الفعلية:

تصدرت قائمة الجدول الجملة الفعلية من حيث الحضور بنسبة 45.87%، فيها ما يقارب 50 جملة فعلية، من ضمنها 21جملة فعلها أمر،و10 جمل فعلها ماض ، ومثلها فعلها مضارع و 3 جمل استفهامية و 5 جمل منفية.

---

[1] النساء ، 57.

[2] الهداية الى بلوغ النهايه ،ج2، ص1363.

كان الصف الإسلامي في هذا الوقت يحتاج إلى جهود ضخمة من التربية والتوجيه ومن الاستنهاض والتشجيع للمعركة مع الضعف البشري ومع المعسكرات المعادية "ويفيدنا في إدراك طبيعة المنهج القرآني في التربية وكيف كان يأخذ هذه النفوس وكيف كان يتلطف لها وكيف كان ينسق الصف، الذي يحتوي على نماذج شتى من مستويات شتى. حيث نراه وهو يعمل في عالم الواقع.. على الطبيعة..! "[1].

ومن الجمل الفعلية العجيبة في هذا المحور قوله تعالى : ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ﴾[2] أي " لا شي لكم في حال لا تقاتلون، والمراد أن الذي هو لكم هو أن تقاتلوا. فهو بمنزلة أمر, أي: قاتلوا في سبيل الله لا يصدكم شيء عن القتال "[3] فحمل هذا اللفظ الكنائي الاستفهام والإنكار والتعجب والأمر ، وهو من الأساليب العجيبة في القرآن الكريم. " قال أبو جعفر: وهذا حضٌّ من الله المؤمنين على جهاد عدوه من أهل الكفر به على أحايينهم = غالبين كانوا أو مغلوبين، والتهاونِ بأقوال المنافقين في جهاد من جاهدوا من المشركين"[4].

ومن الجمل الفعلية التي أتت على هيئة استفهام قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ﴾[5]. ينكر المولى تعالى على عباده غفلتهم عن القرآن وهو صلاح دنياهم وآخرتهم . قال أبوحيان :"وهذا استفهام معناه الإنكار أي أفلا يتأملون مانزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه ، فإنه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله " . بل يحمل مع الإنكار معنى أشد لذعا وهو " التوبيخ والتعجب منهم في استمرار جهلهم مع توفر أسباب التدبر لديهم " [6]. كما يحمل لعامة الأمة الحض على هذا الفعل الذي به صلاح الدنيا والآخرة .

---

[1] في ظلال القرآن ،ج 2 ،ص 702.

[2] النساء ، 74 .

[3] التحرير والتنوير، ج5 ،ص122.

[4] تفسير الطبري ، ج8 ،ص541.

[5] النساء ، 82.

[6] البحر المحيط ،ج 3 ،ص 305.

2 . الجملة الشرطية:

كان حضورها في المرتبه الثانية بنسبة29.35%ما يقرب 32 جملة شرطية ، وقد اقترنت الجملة الشرطية بالأدوات " إن " تسع مرات ، "من " تسع مرات ، "إذا" خمس مرات ، إضافة لأدوات أخرى ك "ما" و "أينما" . وبما أن أهم ما يميز الجملة الشرطية ارتباط عبارتي الشرط والجواب فإن الجملة الشرطية تراوحت بين الارتباط السببي والتلازمي ومن الارتباط السببي كما في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] فالارتباط بين جملتي الشرط والجواب ارتباط سببي فسبب الحصول على الأجر والثواب سببه القتال في سبيل الله ، وفي الآية 92 ارتباط تلازمي بين جملتي الشرط والجواب قال تعالى﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا ﴾[2] أي تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة ملازم للقتل الخطأ ، فانتفاء القتل الخطأ يلازم انتفاء تحرير رقبة مومنة والدية المسلمة ، فهذا الجواب ملازم للقتل الخطأ .

ومن الجمل الشرطية المرغبة في القتال والمبينة أن الموت نهاية كل شيء قوله تعالى ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾[3] بين جملتي الشرط إرتباط تلازمي أيضا فالموت أمر محتم لا مهرب منه فلا بد وأن يدرككم في أي مكان ولو تحصنتم في شواهق القصور التي يسكنها الأثرياء وذوو النعمة فالموت لا مفر منه ، والمرء قد يقتحم غمار الوغى ولا يصاب بأذى وقد يموت المتحصن بالبروج فإذن لا عذر للمثبطين ولماذا لا يدافعون عن الحق حتى تستحقوا مرضاة الله وسعادة الآخرة.

وما أشد بهاء أداة الشرط لو في قوله تعالى﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[4] لو هنا جعلت المحك الرئيسي للتأمل في هذا الغرض الذي يفضي الى حقيقة ناصعة البيان لا يختلف فيها اثنان فالشرط المقطوع بانتفائه هو كون هذا

---

[1] النساء ، 74.

[2] النساء ، 92.

[3] النساء ، 78.

[4] النساء ، 82.

القرآن من مصدر آخر غير الله سبحانه وتعالى ، فلو فرض هذا الشرط لكان الجواب وجود اختلاف كبير في المعنى بالتناقض والتخلف عن الصدق في الإخبار بالمغيبات أو بعضها، وفي النظم بالتفاوت في الإعجاز، فإذا علموا أنه من عند الله بهذا الدليل القطعي [1] الذي وصلوا إليه بأنفسهم بعد تأمل رسّخ الايمان في نفوسهم و " حفظوا سرائرهم كما يحفظون علانيتهم لأن الأمر بالطاعة مستو فيه السر والعلن "[2] ، والقصد من هذا الشرط لفت الانتباه إلى أمر يفضي بهم إلى حقيقة مصدر القرآن الكريم أي " ألا يتدبرون انتفاء الاختلاف منه فيعلمون أنه من عند الله ..هذا استدلال وجيز وعجيب قصد منه قطع معذرتهم في استمرار كفرهم، ووصف الاختلاف بالكثير في الطرف الممتنع وقوعه بمدلول " لو " ليعلم المتدبر أن انتفاء الاختلاف من أصله أكبر دليل على أنه من عند الله"[3] فلو ربطت هذين الأمرين لتدل على عدم تحقق وقوعهما وأن قرآننا منزه عنهما فهو كلام الله .

3 . الجملة الاسمية:

احتل ترتيب الجمل الاسمية المرتبة الثالثة بنسبة23.85% وأحصينا حوالي 26 جملة أسمية.ففي محور يتحدث عن القتال والحث على الجهاد في سبيل الله والارتقاء بالنفوس إلى العلا وعدم الركون للدنيا والخوف من الموت .

ودلت الجملة الاسمية على التنبيه لملاقاة العدو و جاءت بصيغة النداء في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾[4] حيث خص المولى هذا الخطاب المخلصين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم خطاب ثابت في كل زمان ومكان ، نبهوا على أهمية الحزم والعزم والاستعداد التام قبل ملاقاة العدو, وهذا ينافي التواكل الذي يظنه البعض من الدين .

[1] ينظر: نظم الدرر للبقاعي ،ج 5 ،ص340.

[2] المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

[3] التحرير والتنوير ، ج5 ،ص 138.

[4] النساء ، 71.

يقول تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ ﴾[1] " أي ليتثاقلن ويتأخرنّ عن الجهاد، والخطاب لجماعة المؤمنين بحسب الظاهر، ومنهم المنافقون وضعفة الإيمان والجبناء فالمنافقون يرغبون عن الحرب، لأنهم لا يحبون أن يبقى الإسلام وأهله ولا أن يدافعوا عنه، ويحموا بيضته"[2] فهم يثاقلون عن القتال ويثاقلون غيرهم عن النفر إليه فهذا الحال المستمر الذي عليه ضعاف النفوس والجبناء والمنافقين خوفا من صليل السيوف والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق.

ودلت الجملة الاسمية على التمني في تصوير حالة ضعاف النفوس والمثبطين المثاقلون إلى الأرض خوفا من الموت بعد رؤية المقاتلين في سبيل الله وقد من الله عليهم بالظفر وفتح البلاد وأخذ الأسرى والسبايا في قوله تعالى﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3] فهم نسوا مد يد العون إليهم وقت الجهاد وبذل كل ما يمكنه مساعدتهم من أنفس أو مال ليتم لهم الظفر .

ودلت الجملة الاسمية على التشبه بحاله الكفار في قوله تعالى﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ ﴾[4] " أي: كنتم من قبل مثل هذا الذي قتلتموه، وأخذتم ماله استخفى بدينه من قومه حذراً على نفسه منهم، وكذلك كنتم .وقيل: معناه، وكذلك كنتم كفاراً مثله، فهداكم الله وأعز دينكم، ومَنَّ عليكم بالإسلام والتوبة."[5].

4 . الجملة الظرفية :

وردت الجملة الظرفية مرة واحدة فقط وبنسبة 0.91% ، ودلت على علاقة رضا الله بالنعيم الأبدي والمغنم الكثير في الآية 94 في قوله تعالى﴿ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾[6] للسالكين إليه للطارقين بابه ، لمن أخرج من قلبه حب الدنيا ومتاعها وتعلق بحب الله

---

[1] النساء ، 72.

[2] تفسير المراغي ،ج 5 ،ص 89.

[3] النساء ، 73.

[4] النساء ، 94.

[5] الهداية إلى بلوغ النهاية ،ج2 ،ص1434.

[6] النساء ، 94.

وطلب رضوانه عنده المغنم والمطلب والظفر بالسعادة في الدارين الأولى بالقناعة وفي الآخرة برضوانه سبحانه والخلد في جنات النعيم .

سابعا . في المحور السابع "الجهاد والهجرة والضرب في الأرض":

جدول النسب

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
18 جمله	12جمله	11 جمله	0
%43.9	%29.26	%26.82	%0.0

هذا المحور امتداد للموضوع الذي يسبقه حيث يعتبر تكملة موضوعيه له، محوره الأساسي الهجرة إلى دار الإسلام وحث المسلمين المتخلفين في دار الكفر على الانضمام لصف المجاهدين بالنفس والمال وعدم الركون إلى الأهل والمال والراحة وتحدث عن ضمان الله سبحانه لمن يهاجر في سبيله منذ اللحظة التي يخرج فيها من بيته إلى ، قاصدا الهجرة إلى الله خالصة ، وألم هذا المحور بالصلاة عند الخوف في ميدان القتال أو في أثناء طريق الهجرة، وختم المحور بلمسة قوية عميقة التأثير في التشجيع على الجهاد في سبيل الله حيث يصغر كل ألم وتهون كل مشقة في صورة ناصعة لحال المؤمنين المجاهدين ، وحال أعدائهم المحاربين في قوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[1] . وكانت لهذه الحركية في أحداث المحور البروز والنصيب الأوفر للجمل الفعلية بنسبة 43.9 % ، تليها الاسمية فالشرطية .

1 . الجملة الفعلية :

كان حضورها الأوفر بعدد18 جملة من 30 جملة و بنسبة قدرها43.9%.

قال تعالى ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2] " في قوله: لا يَسْتَوِي إبهام على السامع هو أبلغ من تحديد المنزلة التي

[1] النساء ، 104.

[2] النساء ، 65.

بـين المجاهد والقاعد، فالمتأمـل يمشـي مـع فكرتـه ولا يـزال يتخيـل الـدرجات بينهمـا، والْقاعِدُونَ عبارة عن المتخلفين، إذ القعود هيئة من لا يتحرك إلى الأمر المقعود عنه في الأغلب[1].

وتدل الجملـة الفعليـة علـى الأفضلية التـي منحها الله سبحانه للمجاهدين فـي سبيله ، يقـول تعـالى ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾[2] " قـال الآلوسـى: قولـه- تعـالى- لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ. شـروع فـي الحـث علـى الجهـاد ليـأنفوا عن تركه، وليرغبوا عما يوجب خللا فيه. والمراد بالقاعدين: الذين أذن لهم في القعود عـــن الجهـــاد اكتفـــاء بغيـــرهم[3].

---

[1] تفسير ابن عطيه ،ج2 ،ص97.

[2] النساء ، 95.

[3] التفسير الوسيط لطنطاوي ،ج3 ،ص268.

ومن الاستفهام الدال على التوبيخ في قوله تعالى ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾[1] فالاستفهام في (فيم)أي(في أي شيء كنتم في أمور دينكم)وهو تقرير وتوبيخ، فالتقرير ليصور حالهم عند الوفاة بأنهم ظالمي أنفسهم لعدم هجرتهم فارين بدينهم ، والتوبيخ على تفريطهم في هذا الأمر الذي كان بمقدورهم وهو تخليص أنفسهم من غضب الجبار ،ولكنهم لم يفعلوا فاستحقوا سوء المصير ، واعتذارهم الذي ذكروه غير مقبول[2]. وقد علق الزمخشري على هذا الاستفهام "فإن قلت كيف صح وقوع قولهم:كنا مستضعفين في الأرض.جوابا عن قولهم فيم كنتم؟ وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن في شيء(قلت) فيم كنتم؟ التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا"[3].

وفي صورة آسرة تشد من عضد المجاهدين يقول تعالى ﴿ وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ ﴾[4] " لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار ، أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وَهَن القلب مستدع لوَهَن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم."[5]

ومن بديع الأغراض التي خرج إليها النهي في هذه السورة التشجيع والتحميس كما في قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ ﴾[6] النهي في(لا تهنوا) "زاد عن معناه الحقيقي إلى زيادة التشجيع"[7] فقد يبث في قلوب المؤمنين في كل مكان وزمان دفعه قوية تشد عضدهم لملاقاة العدو والاستبسال في ذلك فهو (تشجيع لهم)وشد من أزرهم لمقارنة ما تؤول إليه حال كل من الفريقين : هم وعدوهم.

---

[1] النساء ،97.

[2] ينظر: المحرر الوجيز ،ج2 ،ص100.

[3] الكشاف ،ج1 ، ص292.

[4] النساء ،104.

[5] تفسير السعدي ،ج1 ،ص199.

[6] النساء ، 104.

[7] التحرير والتنوير ،ج 5، ص188

2 . الجملة الاسمية:

وردت الجملة الاسمية في هذا المحور 12 مرة بنسبة قدرها 29.26%. وقد دلت على ثبات الصفات الجليلة المغفرة والكرم لله عز وجل في قوله تعالى﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا [1] ومثل هذه الآية تكررت في سورة النساء لوحدها في ثلاث آيات الاية 96 ، 152،100. وفي القرآن الكريم ذكرت في تسع مواضع ، مما يبعث في النفس الارتياح ، فحتى لو أخطأ الإنسان لا يقنط من روح الله ، ويرجع إليه في كل الأحوال .

ودلت الجملة الاسمية على الاحتراز من الكافرين ومن كيدهم في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّامُّبِينًا ﴾[2] .

كما دلت على التعليل بأخذ الحذر في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الله أَعَدَّ للكافرين عَذَاباً مُّهِيناً ﴾[3] " أعد لهم عذاباً مهيناً بأن يخذُلهم وينصُرَكم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تُهمِلوا في مباشرة الأسباب كى يحل بهم عذابُه بأيديكم وقيل لما كان الأمرُ بالحذر من العدو مُوهماً لتوقّع غلبتِه واعتزازِه نُفي ذلك الإيهامُ بأن الله تعالى ينصُرهم ويُهين عدوَّهم لتقوى قلوبُهم"[4] .

ودلت الجملة الاسمية على علاقة الصلاة بوقتها المحدد في قوله تعالى﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾[5] " والحق كلف العبد بالصلاة ومعها الوقت الذي يسعها[6].

3 . الجملة الشرطية:

وردت الجملة الشرطية في هذا المحور 11 مرة بنسبة 26.82 %،كان الارتباط فيها بين جملتي الشرط في ثماني جمل تلازميا وفي أربع جمل ارتباطا سببيا . وكان نصيب الأداة "اذا" الاوفر حيث اقترن بخمس جمل شرطية من 11 جمله .

---

[1] النساء ، 96.

[2] النساء ، 101.

[3] النساء ، 102.

[4] تفسير أبي السعود ،ج2 ،ص228 .

[5] النساء ، 103.

[6] تفسير الشعراوي ،ج5 ،ص 2598.

ومن الجمل الشرطية المرغبة في الهجرة في سبيل الله قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[1] " ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها أي يجد فيها متحولا ومهاجرا وإنما عبر عنه بذلك تأكيد للترغيب لما فيه من الإشعار بكون ذلك المتجول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة إلى ما يكون سببا لرغم أنف قومه الذين هاجروهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنفِ بالرَّغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقاً يراغِمُ بسلوكه قومَه أي يفارقهم على رَغم أنوفهم"[2] ودلالة الارتباط بين جملتي الشرط سببي فإيجاد الخير والسعة سببها الهجرة في سبيل الله ، تحفيز لترك الركون إلى الأرض وعدم التحرك.

ومن الارتباط السببي أيضا في قوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاةِ﴾[3] " أي وإذا سافرتم أىّ سفر فليس عليكم تضييق ولا ميل عن محجة الدين إذا قصرتم الصلاة: أي تركتم شيئا منها فتكون قصيرة"[4] فقصر الصلاة سببه الضرب في الأرض والسفر يبطل بتوقفه .

ويدل الارتباط التلازمي على ملازمة ذكر الله بعد الصلاة الصلاة وفي كل الآحوال في قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾[5] " فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ يعني فإذا فرغتم من صلاة الخوف فَاذْكُرُوا اللَّهَ يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأثنوا على الله في جميع أحوالكم قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِكُمْ فإن ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع إليه" [6].

---

[1] النساء ، 100.

[2] تفسير أبي السعود ،ج2 ،ص224.

[3] النساء ، 101.

[4] تفسير المراغي ،ج5 ،ص138.

[5] النساء ، 103.

[6] تفسير الخازن ،ج1 ، ص422.

ثامنا . في المحور الثامن "الإنصاف والحكم بالعدل والجزاء":

جدول النسب:

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
28جمله	22جمله	10جمل	02جمل
%45.16	%35.48	%16.12	%3.22

ابتدأ هذا المحور الحديث عن قصة لن تعرف لها البشرية شبيها ولا نظيرا تشهد بأن هذا الدين لا يكون إلا من عند الله فالبشر مهما سما تصورهم لا لن يدركوا هذا المستوى الذي تشير إليه هذه الآيات، ففي الوقت الذي تطلق فيه اليهود سهامها على المسلمين ويتصاعد افتراء المشركين والمنافقين على الإسلام والمسلمين، في هذا الوقت الحرج كانت هذه الآيات تتنزل على قلب النبي لتنصف رجلا يهوديا اتهم ظلما بسرقة ولتدين الذين تآمروا على اتهامه وهم من الانصار ، فأي مستوى من النظافة والتسامي؟

ثم انتقل الى الحديث عن بعض أوهام الجاهلية وأساطيرها لينتهي بقاعدة الاسلام الكبرى في العمل والجزاء والثواب العقاب، فكان تبعا لذلك نصيب الجمل الفعليه هو الغالب ب نسبة 45.13 %فلأنها الأقدر على الوصف تليها الجمل الاسمية بنسبة 35.48ثم الشرطية بنسبة 16.12%وتقل الجملة الظرفية إلى 3.22%.

1 . الجملة الفعلية:

كانت الأكثر حضورا حيث أحصينا 28 جملة فعلية بنسبة 45.13%. ومنها قوله تعالى ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾[1] " لاتدافع أيها النبي عن هؤلاء ولا تساعدهم، فإن الله لا يحب من اعتاد الخيانة، وألفت نفسه اجتراح السيئات والكذب. إن هؤلاء يستترون بخياناتهم من الناس، ولا يستترون من الله. لقد غفلوا عن أنه لا تخفى عليه خيانتهم، بل بلغ من جهلهم أنهم يدبرون التهم الباطلة للأبرياء علهم يلقون بالجريمة عن ظهورهم. "[2] وجاء حرف الجر الذي توسط الفعل والمفعول بمعنى البدل أي لا تجادل بدل الذين يختانون أنفسهم، فصورت (عن)عمق الحماس الذي يدافع به عن المبدل عنه فيتعداه به .

[1] النساء ، 107.

[2] تيسير التفسير للقطان ،ج 1، ص 335.

دلت الجملة الفعلية على ضعف إيمان الخائنين ونقص يقينهم في قوله تعالى ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] " أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره وإطلاعه عليهم.[2] ".فهم يستترون من الناس ولا يستحيون من الله والله أحق أن يستحيا منه وأحق أن يخاف من الفضيحة بين يديه.

وصورت الجمل الفعلية ضلال الشيطان وإغواؤه للبشر حتى يزيغ بهم عن الهداية يقول تعالى ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾[3] " ومفعولاتُ الأفعال الثلاثة محذوفة للدلالة عليها أي: وَلأُضِلَنهم عن الهدى ولأُمنينهم بالباطل ولآمرَنهم بالضلال، كذا قدره أبو البقاء والأحسن أن يقدر المحذوف من جنس الملفوظِ به أي: ولآمرَنهم بالبتك، ولآمرنّهم بالتغيير. وقرأ أبو عمرو فيما نَقَل عنه ابن عطية: «ولامرنهم» بغيرِ ألف وهو قصر شاذٌّ لا يقاس عليه، ويجوز ألا يقدر شيء من ذلك؛ لأن القصدَ الإخبار بوقوعِ هذه الأفعال من غيرِ نظرٍ إلى متعلقاتها نحو: {كلواْ واشربوا} [4] . والبتَكُ: القَطْعُ والشقُّ، والبِتْكَةُ: القطعة من الشيء جمعها بِتَك: "[5] وذلك يتضمن التسخط من خلقته والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، ويتناول أيضا تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان.[6]

2 . الجملة الاسمية:

[1] النساء ، 108.

[2] تفسير السعدي ،ج1، ص200.

[3] النساء ، 119.

[4] الطور ، 19.

[5] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،ج4، ص94.

[6] تفسير السعدي،ج1، ص403.

أحصـينا فـي هـذا المحـور 22جملـة اسـمية وجـاء ترتيبهـا الثـاني بعـد الفعليـة بنسـبة قدرها35.48%. وقد دلت الجملة الاسمية عن دوام الضـلال والظـلام وعدم المغفرة للمشرك به يقول تعالى﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾[1] " ونزلت هذه الآية أيضاً في الخائنين الذين تقدم ذكرهم لما أبى التوبة طعمة بن الأُبيرق، لحق بالمشركين من عبدة الأوثان مرتداً عن الإسلام، فهو [من] الذين شاقوا الرسول من بعد أن كان مؤمناً،"[2] فالله لا يغفر الشرك ويغفر مادون ذلك فباب التوبة مفتوح والإنابة إليه متاحة في كل وقت ومكان فألحق نفسك ياأيها الإنسان .

ودلت كذلك على ثبوت جهنم مأوى لأتباع الشيطان في قوله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾[3] " قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله:"أولئك"، هؤلاء الذين اتخذوا الشيطان وليًّا من دون الله="مأواهم جهنم"، يعني: مصيرهم الذين يصيرون إليه جهنم"[4].

ودلت الجملة الاسمية على سعة ملك الله وقدرته في قوله تعالى ﴿ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾[5] " ذكر- عز وجل- سعة ملكه وإحاطته بكل شيء عقب ذكر الدين وتبيين الجادة منه، ترغيبا في طاعة الله والانقطاع إليه."[6] فالله سبحانه وتعالى لا تدرك كنهه العقول ولا الابصار القادر المقتدر ، وليس للبشر إلا اللجوء إليه ، هو المنقذ ، هو الحكم ، هو اللطيف بعباده وإتباعه سبيل رشد وأمان .

3 . الجملة الشرطية:

وردت الجملة الشرطية عشر مرات بنسبة قدرها 16.12%،تسع مرات إقترن الشرط بالأداه " من " ومرة واحده مع الأداة "لولا" .دل الشرط على الارتباط بين الاستغفار وقبوله من عند

---

[1] النساء ، 116.

[2] الهداية الى بلوغ النهايه، ج2 ، ص1468.

[3] النساء ، 121.

[4] تفسير الطبري ، ج9 ،ص 225.

[5] النساء ، 126.

[6] تفسير ابن عطية ، ج 2 ، ص117.

الله يقول تعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1] " وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة" [2] فبين جملتي الشرط ارتباط تلازمي بين من يعود وينيب ويستغفر بعد ارتكاب الاثم ومغفرة الله التي وسعت كل شيء وشملت كل من أتى بقلب سليم .

ودل الشرط على أن الفوز بالأجر العظيم يشترط تصحيح النية لمرضاة الله يقول تعالى﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] " وَمن يفعل ذلِكَ تصَدق أَو أَقرض أَوْ أَصلَح بين النّاس ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيهِ أَجرا عظيما."[4] من يعمل عمل البر قاصدا وجه الله تعالى مخلصا قلبه يعطيه الله الأجر العظيم ويدخله جنته ، ومن عمل البر ليكسب ود الناس لا رضا الله لم يجني ما عند الله وحسبه ما كسب من بشر! فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

ودل الشرط على الارتباط الوثيق بين الخسران المبين وإتباع حزب الشيطان يقول تعالى ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾[5] " والولي للشيطان هو الذي يليه ويقرب منه. ومن فعل ذلك فقد ترك الأفضل وذهب إلى الأضعف الذي يورده مهاوي وموارد الهلاك، ويخسر الخسران الواضح والمحيط من كل الجهات، ولا انفلات من مثل هذا الخسران."[6] فارتباط الخسران بالسبب الذي هو اتخاذ أولياء الشيطان ، ارتباط سببي لو استغفر عنه الانسان وأخلص نيته واتبع أولياء الله لهداه وعوض له خسرانه ربحا لكن قبل فوات الآوان .

---

[1] النساء ، 110.

[2] تفسير النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج 1، ص394.

[3] النساء ، 114.

[4] تفسير ابن أبي حاتم ،ج4 ،ص 1065.

[5] النساء ، 119.

[6] تفسير الشعراوي، ج 5 ،ص2653.

4 . الجملة الظرفية :

هي الأقل حضورا حيث أحصينا في هذا المحور جملتين اثنتين ظرفيتين ما يمثل نسبة 3.22%.في قوله تعالى﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[1] ، فكل ما في السماء والأرض له يسبح ،له يحمد ، خضوعا لانه ملكه واختراعه " وَالْمعنى إِنهُ اتخذ إبراهِيم خَلِيلا بِحُسْنِ طاعته لَا لِحاجته إِلَى مُخَالتِهِ وَلَا لِلتكثِير بِهِ وَالِاعْتِضَادِ، وَكيْف ولَه ما في السموات وَما فِي الْأَرْض؟ وَإنما أَكرمه لِامتثالِه لِأَمرِه"[2].

تاسعا . في المحور التاسع "أحكام النسـاء":

جدول النسب"

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
7 جمل	4 جمل	5 جمل	0
%43.75	%25	%31.25	%00

موضوع هذا المحور مكمل لما بدأت به السورة من علاج لرواسب المجتمع الجاهلي فيما يختص بالمرأة والأسرة ، وفيما يختص أيضا بضعاف المجتمع من الأيتام والأطفال، من أجل تنقية المجتمع المسلم وإقامته على أساس العدل والرحمة بالضعفاء ، لكي لا يكون الأمر فيه للأغلب وتكون شريعة الغاب التي تسود، ثم يمضي خطوة مع التنظيم الاجتماعي في محيط الأسرة في حالة النشوز والإجراءات التي تتخذ من أجل المحافظة على كيان الأسرة ، وجاءت الصدارة للجمل الفعلية بنسبة 43.75% تليها الجمل الشرطية 31.25%، ثم تأتي الجملة الاسمية في الترتيب الثالث بنسبة 25 %وينعدم وجود الجملة الظرفيه.

1. الجملة الفعلية :

---

[1] النساء ، 126.

[2] تفسير القرطبي ،ج5 ، ص402.

تصدرت قائمة الترتيب الجملة الفعلية بسبع جمل بنسبة 43.75%.أثارت الجملة الفعلية أسئلة واستفتاءات عن بعض شؤون النساء وهذه الظاهرة لها دلالة على رغبة المسلمين في معرفة أحكام دينهم في شؤون حياتهم يقول تعالى ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء ﴾[1] " كانت الْيتيمةُ تكون عند الرجل فإذا كانت جميلة ولها مال تزوج بِهَا وأَكل مالها، وإذا كانتْ دميمة منعها مِن الأَزواج حَتى تموت فيرثها، فأَنزل الله هذه الْآيةَ."[2]

وجاءت الجملة الفعليه لتصور احدى حالات الأنفس البشرية بحكم خلقتها وجبلتها يقول تعالى ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾[3] " ومَعْنَى وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ مُلَازَمَةُ الشُّحِّ لِلنُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ حَتَّى كَأَنَّهُ حَاضِرٌ لَدَيْهَا. وَلِكَوْنِهِ مِنْ أَفْعَالِ الْجِبِلَّةِ بُنِيَ فِعْلُهُ لِلْمَجْهُولِ عَلَى طَرِيقَةِ الْعَرَبِ فِي بِنَاءِ كُلِّ فِعْلٍ غَيْرِ مَعْلُومِ الْفَاعِلِ لِلْمَجْهُولِ"[4].

ومن النهي الدال على الإرشاد في قوله تعالى﴿ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ ﴾[5] " وَأَقَامَ اللَّهُ مِيزَانَ الْعَدْلِ بِقَوْلِهِ: فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ، أَيْ لَا يُفَرِّطُ أَحَدُكُمْ بِإِظْهَارِ الْمَيْلِ إِلَى إِحْدَاهن أَشَد الْمَيْلِ حَتّى يَسوءَ الْأُخْرَى بِحَيْث تَصِير الْأُخْرَى كَالْمُعَلَّقَةِ. فَظَهَرَ أَنَّ مُتعَلّق تَمِيلُوا مُقَدَّرٌ بإِحْدَاهُنَّ، وأنّ ضمير فَتَذَرُوها الْمَنْصوبَ عَائِد إِلَى غَيرِ الْمتعلقِ الْمَحذوفِ بِالْقرينة، وهو إيجاز بَديع."[6] ولأن الميل عمل قلبي والقلب محرك الجوارح ولم يأت في الآية ما يدل على عقاب صارم لمن يخالف ذلك بل ما يوجد في الآية يدل ويؤكد عدم إستطاعة العدل، ثم تذييل للآية ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[7].

2 . الجملة الشرطية:

وردت الجملة الشرطية خمس مرات بنسبة قدرها 31.25% ، اقترنت بالأداة "ان" ثلاثة جمل شرطية، في حين كان الارتباط التلازمي هو السائد بين جملتي الشرط فيها .

---

[1] النساء ، 127.
[2] تفسير الرازي ، مفاتيح الغيب او التفسير الكبير ،ج11، ص233.
[3] النساء ، 128.
[4] التحرير والتنوير ،ج5، ص217.
[5] النساء ، 129.
[6] النساء ، 127.
[7] النساء ، 129.

ويدل الشرط على أن الله سبحانه وتعالى يعلم السر وما أخفى فما من عمل يعمله ابن أدم إلا وكان به عليما في قوله تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾[1] فكان الارتباط بين جملتي الشرط والجواب تلازمي فكل خير يعمله الانسان يجازيه الله عليه لان به أعلم فهناك كتبة حافظين لا يذرون صغيرة ولا كبيرة إلا ودونوها .

ويدل الشرط على الارتباط بين عدم استطاعة العدل بين النساء ولو حرص الرجل لأنه صعب إلا على من سهله الله عليه فكان الارتباط بين جملتي الشرط تلازمي في قوله تعالى﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تعدلواْ بينَ النساء ولَوْ حَرصتمْ ﴾[2] " وَجاء بِ (لَنْ) لِلْمبالغة فِي النفيِ، لِأَن أَمرَ النسَاء يغالِب النفس، لِأَن اللَّه جعل حسنَ الْمرأَة وَخلُقَهَا مُؤثِّرا أَشد التأْثِير, وَلو كان حريصا عَلى إِظْهار الْعدل بينهن، فَلذلِك قَال وَلَو حَرَصتم"[3]وعلى ذلك فإن لن أكدت نفي استطاعة العدل على الدوام وإن كان توخي الحرص والمقاربة مطلوبا ويؤكد هذا ذيل الاية الكريمة، كما يؤكده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن عائشة أم المؤمنين _ رضي الله عنها _قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول : "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك".

ويدل الشرط على الارتباط بين العودة إلى الطريق السليم وتقوى الله والغفران من عنده سبحانه وتعالى في قوله تعالى ﴿ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[4] " وَإِنْ تصلحوا ما كنتم تفسدون من أمورهن. وَتتّقوا فيم يستقبل من الزمان. فإن الله كانَ غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم."[5] فالارتباط بين الاصلاح والتقوى والمغفرة ارتباط تلازمي فالله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب كلها إلا الشرك به والعياذ بالله .

ومن الحكمة أنه سبحانه لا يرغم اثنين على أن يعيشا معاً وهما كارهان؛ لأنهما افتقدا المودة والرحمة فيما بينهما؛ جاء قوله تعالى ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ ﴾[6] فسبحانه عنده

[1] النساء ، 128.
[2] النساء ، 129.
[3] التحرير والتنوير ،ج 5 ،ص 218.
[4] النساء ، 129.
[5] تفسير البيضاوي ، ج2 ،ص101.
[6] النساء ، 130.

الفضل الكريم أن يرزق كليهما ما يشبع حوائجهما إن لم يرزقا بها من بعضهما فكان ارتباط تلازمي بين جملتي الشرط ، فبفضله يغنيهما عن بعض .

3 . الجملة الإسمية:

وردت في هذا المحور الجملة الاسمية أربع مرات بنسبة 25%دلت الجملة الاسمية على خيريه الصلح وأفضليته في قوله تعالى﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[1] " وَقِيلَ: إِن كَلمةَ خيْر لَيْسَتْ للتفضيل وإنمَا هِي لِبَيان خيرِيةِ الصلحِ فِي نفسهِ"[2] .

ودلت الجملة الاسمية على دوام رحمة الله بخلقه وحكمته وتدبيره في قوله تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾[3] " وكان الله واسعًا"، يعني: وكان الله واسعًا لهما، في رزقه إياهما وغيرهما من خلقه (2) ="حكيمًا"، فيما قضى بينه وبينها من الفرقة والطلاق، وسائر المعاني التي عرفناها من الحكم بينهما في هذه الآيات وغيرها، وفي غير ذلك من أحكامه وتدبيره وقضاياه في خلقه." [4]

ودلت الجملة الاسمية على سعة علم الله في قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[5]فهو عالم بإحسان الازواج وعشرتهم لنسائهم بما يرضي الله وسيجزيهم أوفر الجزاء ، فلا يخفى عليه من أمرهم شيء .

---

[1] النساء ، 128.

[2] تفسير المنار ،ج5 ، ص 364.

[3] النساء ، 130.

[4] تفسير الطبري، ج9 ،ص294.

[5] النساء ،128.

عاشرا . في المحور العاشر "الإيمـان ولـوازمه":

جدول النسب:

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
6جمل	5جمل	7جمل	2جمل
%30	%25	%35	%10

موضوع هذا المحور هو حلقة أخرى من المنهج الثابت المرسوم الأهداف لمعالجة النفس البشرية بالترياق الرباني الذي صنعه خالق هذه النفس البصير بطبيعتها وحقيقتها ، بمنهج اتجاهاته ثابتة موضوعة للناس جميعا في أجيالهم كلها لترفعهم إلى القمة السامقة، بداية من إقامة العدل بين الناس ثم دعوتهم إلى الإيمان بعناصر الإيمان الشامل ثم التهديد على الكفر بعناصر الإيمان مع التفصيل فيها في موضع البيان قبل العقاب﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[1] ، ومنه تصدرت الجملة الشرطية هذا المحورعلى عادة الأسلوب القرآني في آيات الأحكام وإبانة الحجة والبرهان ، تليها الجملة الفعلية فالاسمية.

1 . الجملة الشرطية:

وردت الجملة الشرطية في هذا المحور سبع مرات،بنسبة 35 % أربع مرات إقترن الشرط بالأداة "ان" ومرتان بالأداة " من" ومرة واحده بالإداة " لو" وكان الارتباط الغالب بين جملتي الشرط الارتباط التلازمي، ونجد الارتباط التقابلي في قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[2] أي "إن تتركوا تقوى الله، وتشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فإنكم لا تضرون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضرون الله شيئا ولا تنقصون ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر، مطيعون له خاضعون لأمره "[3] هو الغني عنكم ولن يضره كفركم

[1] النساء ، 136.

[2] النساء ، 131.

[3] تفسير السعدي ،ج1 ،ص207.

ولا ينقص من ملكه شيئا ولو اجتمع الانس والجن فهم الفقراء المحتاجون إليه في السر والعلن.

ويدل الشرط على الارتباط التلازمي بين الكفر والضلال في قوله تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا﴾[1] " "فقد ضل ضلالا بعيدًا"، فإنه يعني: فقد ذهب عن قصد السبيل، وجار عن محجَّة الطريق، إلى المهالك= ذهابًا وجورًا بعيدًا. لأن كفر من كفر بذلك، خروجٌ منه عن دين الله الذي شرعه لعباده. والخروج عن دين الله، الهلاك الذي فيه البوار، والضلال عن الهدى هو الضلال."[2]. فلا مهرب إلا إليه ولا ملجئ إلا له هو الهادي والمنتصر والحق لا اله إلا هو الرحمن الرحيم.

2 . الجملة الفعلية:

أحصيت ست جمل فعلية بنسبة 30% من مجموع 19 جملة في هذا المحور. ومنها قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[3] " ولقد أمرنا أهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل="وإياكم"، يقول: وأمرناكم وقلنا لكم ولهم:"اتقوا الله"، يقول: احذروا الله أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه"[4].

دلت الجملة الفعلية على طمأنة الله سبحانه وتعالى عبده بأنه الوكيل القادر يقول تعالى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[5] " وهو يطمئن عباده ويبين أنه – سبحانه – هو القيوم، وتعني المبالغة في القيام، إذن كل شيء في الكون يحتاج إلى قائم؛ لذلك فهو قيوم. ويوضح الحق لكل إنسان: أَنِ اجتهد في العمل وبعد أن تتعب نم ملء جفونك؛ لأني أنا الحق لا تأخذني سنة ولا نوم. فهل هناك وكيل أفضل من هذا؟"[6].

---

[1] النساء ، 136.

[2] تفسير الطبري ،ج9 ،ص314.

[3] النساء ، 131.

[4] تفسير الطبري ،ج9 ،ص295.

[5] النساء ، 132.

[6] تفسير الشعراوي ،ج5 ،ص2701.

3 . الجملة الإسمية:

وردت الجملة الاسمية خمس مرات في هذا المحور بنسبة قدرها25% . ودلت الجملة الاسمية هنا على قدرة الله المطلقة على أمور خلقه يصرفها كيف يشاء في قوله تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾[1] " وكان الله على إهلاككم وإفنائكم واستبدال آخرين غيركم بكم="قديرًا"، يعني: ذا قدرة على ذلك."[2]

ودلت الجملة الاسمية على قدرة الله وسمعه وبصره لخلقه فلا يخفى عليه دبيب النمل في قوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[3] " كان الله سميعًا لما يقول هؤلاء المنافقون الذين يريدون ثواب الدنيا بأعمالهم، وإظهارهم للمؤمنين ما يظهرون لهم إذا لَقُوا المؤمنين، وقولهم لهم:"آمنًا" (1) ="بصيرًا"، يعني: وكان ذا بصر بهم وبما هم عليه منطوون للمؤمنين، (2) فيما يكتمونه ولا يبدونه لهم من الغش والغِلّ الذي في صدورهم لهم."[4].فالله كاشفهم مهما تظاهروا بالإيمان وحسن الخلق فيومئذ تبلى السرائر وتكشف النفوس ما أضمرت وتقرا الصحائف علنا فلا ينفع المنافقين ادعاءاتهم أمام البشر لأنها تجلت كما تتجلى الشمس فوق رؤوس الخلائق ولا ينفع إلا من أتى الله بقلب سليم .

4 . الجملة الظرفية:

وردت الجملة الظرفية مرتين بنسبة 10% وهي نفس الآية تكررت في موضعين ،قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾[5] (الآية 131) والآية (132).يملك السماوات والأرض وما بينهما فهو المالك المقتدر، ولا يضيره كفر الكافرين ولا ينقص من ملكوته شيء، فهو الغني المستغني عن خلقه وهم المحتاجون لفضله وسؤاله، "فإن قال قائل: وما وجه تكرار قوله (ولله ما في السموات وما في الأرض) في آيتين، إحداهما في إثر الأخرى؟

---

[1] النساء ، 133.

[2] تفسير الطبري ، ج9 ،ص298.

[3] النساء ، 134.

[4] تفسير الطبري ، ج9 ،ص301.

[5] النساء ، 131.

قيل: كرّر ذلك، لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض في الآيتين. وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين: ذكر حاجته إلى بارئه، وغنى بارئه عنه – وفي الأخرى: حفظ بارئه إياه، وعلمه به وتدبيره."[1]

حادي عشر . في المحور الحادي عشر "المنافقون والمشركون وأهل الكتاب":

جدول النسب

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
79	57	12	8
%50.64	%36.53	%7.69	%5.12

يلج هذا المحور حملة ضد النفاق والمنافقين وبتهكم واضح وباستعمال كلمة (بشر) مكان أنذر وجعل العذاب الأليم الذي ينتظر المنافقين بشارة .ثم يأخذ في بيان سمات المنافقين فيرم لهم صورا منفرة ، يتظاهرون بالمودة و الله أعلم بما يكنون و يتلونون كالثعابين ، فكان التوجيه الرباني أن حذرهم وبصرهم بأمرهم وأمرهم بتصفية هذا المعسكر اللعين ,كما هناك التفاتة إلى النصارى فيصحح القرآن عقيدتهم ويدعوهم إلى الإيمان ، ومن ثم دعوة شاملة إلى الناس كافة أن هذا الرسول إنما جاءهم بالحق من ربهم.فمن آمن به فهو الخير ومن كفر فالله غني عن العالمين.

ولزخم الصور في هذا المحور سجلنا الحضور الأكثر للجملة الفعلية بنسبة 50.64 % تليها حضور الجملة الاسمية بنصيب 36.53 % وحضور خجل للجمل الشرطية والظرفية.

1 . الجملة الفعلية :

كانت الأوفر وبأكثر من نصف الجمل كلها، حيث أحصينا 79 جملة فعلية بنسبة قدرها 50.64%،وهذا يدل على كثرة الحركة في هذا المحور بسبب الصراع بين الإسلام و القوى المعادية من الكفار والمشركين وحركة الدعوة إلى الإيمان بالله و تعزيز المنهج الإسلامي الحديث في بيئة تزخر بعوالق الجاهلية ولا تخلو من ترسبات الماضي البائس.

---

[1] تفسير الطبري ،ج 9 ، ص297.

و من الجمل الفعلية قوله تعالى ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ ﴾[1] "بشر المنافقين وضع (بَشِّرِ) مكان: أخبر، تهكما بهم."[2]."وقال الزجاج: معنى الآية: اجعل موضع بشارتهم العذاب."[3] والإعجاز المدهش فيها ذكرها قبل الآية التي صورت سخرية المنافقين واستهزائهم بالقرآن، وكأنه سبحانه عجل لهم هذه البشارة الساخرة استعجال المرء بما يسره،ولنتصور خيبة الأمل والخزي عندما تكون البشارة بالعذاب الأليم. وقد تكون تهكما بالمتذبذبين بين الكفر والإيمان؛لأن عملهم ضرب من التهكم.

ومن مظاهر الجملة الفعلية الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ ﴾[4] " وقال الزجاج: أيبتغي المنافقون عند الكافرين العزة. و «العزَّة» : المنعة، وشدة الغلبة، وهو مأخوذ من قولهم: أرض عَزاز"[5] فالاستفهام يطلب صدق نبة الحكم لهذه الفئة التي تبتغي العزة عند غير الله واتجه المعنى إلى انكارعملهم وابطاله وبيان خيبة رجائهم وقطع أطماعهم .

ودلت الجملة الفعلية على نصر الله للمؤمنين على الكافرين في كل زمان ومكان وحتى تقوم الساعة في قوله تعالى ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[6] ومانلاحظه اليوم من غلبة الكافرين على المؤمنين فمرده ضعف الإيمان أو انعدامه في بعض الاحيان فيمن ينتسبون إلى الاسلام.

وجاءت الجملة الفعلية على صيغة الاستفهام في قوله تعالى ﴿ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾[7] " أي أتريدون بذلك أن تجعلوا لله عليكم حجة بيّنة على أنكم منافقون فإن موالاتهم أوضح أدلةِ النفاق أو سلطانا يسلِّط عليكم عقابه وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلَّقها بأن يقال أتجعلون المبالغة في إنكارِه وتهويل أمرِه ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل

---

[1] النساء ، 138.

[2] تفسير الزمخشري، ج1 ،ص577.

[3] زاد المسير في علم التفسير ،ج1،ص487.

[4] النساء ، 139.

5 زاد المسير في علم التفسير ،ج1، ص 487.

[6] النساء ، 141.

[7] النساء ، 144.

إرادته فضلا عن صدور نفسه كما في قوله عز وجل أم تريدون أن تسألوا رسولكم "[1] . ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾[2] " بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه"[3] .

وأفصحت الجملة الفعلية على تكليم الله عزل وجل للنبي موسى في قوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[4] " أعلم عز وجل أن موسى كُلِمَّ بغير وحي، وأكد ذلك بقوله تكليما، فهو كلام كما يعقل الكلام لا شك في ذلك"[5] .

2 . الجمله الاسمية :

وردت الجملة الاسمية في هذا المحور 57 مرة بنسبة قدرها 36.53% .

دلت الجملة الاسمية على طلب العزة والتماسها من عندالله وحده يعزمن يشاء ويذل من يشاء يقول تعالى ﴿فإن العزة لله جميعا ﴾[6] فيا أيها العبد الضعيف إن اردت عزا يفوق كل عز فاذهب الى الله، فسبحانه يهب العزة ولا تتغير عزته وسبحانه ينقذ الضعيف من أن يذل لقوي وينقذ المريض من أن يذل لصحيح وينقذ الفقير من أن يذل لغني ، فله العزة جميعا فهو اسأل وله اتجه وعليه أقبل فهو يفرح بمن يسأله والبشر تغضب عند سؤالها ، هو المنجى والملجئ وإليه حسن المآب .

ودلت الجملة الاسمية على كيد المنافقين الأبدي الذي لا يسلم منه المسلمون في قوله تعالى

﴿ الذين يتربصون بكم ﴾ [7]" يعني: المنافقين ينتظرون بكم الدَّوائر"[1] فهم لا يهدأ لهم بال إلا وشتت صف المسلمين ودحرت قوتهم ، فعليهم أخذ الحرص منهم وعدم الأمان لهم .

---

[1] تفسير أبي السعود ،ج 2 ،ص 246.

[2] النساء، 154.

[3] تفسير النسفي ،ج1 ،ص 412.

[4] النساء ، 164.

[5] معاني القرآن وإعرابه للزجاج ،ج2 ،ص 133.

[6] النساء ، 139.

[7] سورة النساء ، 141.

ودلت الجملة الاسمية على نهاية المنافقين ومستقرهم الأليم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾[2] " إن المنافقين في الطَّبَق الأسفل من أطباق جهنم."[3]

ودلت الجملة الاسمية على ثبوت صفة الخداع فيهم في قوله تعالى﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾[4] " أي يخادعون نبي الله بما يظهرونه من الإيمان ويبطنونه من الكفر , فصار خداعهم لرسول الله صلى الله عليهم خداعاً لله عز وجل."[5].

3 . الجملة الشرطية :

وردت الجملة الشرطية في هذا المحور12 مرة بنسبة 7.69%. واقترنت ست منها بالأداة "إن" وثلاث بالأداة "أما" وإثنين بالأداة "من".

وأداة الشرط إن تدل على الامر غير المقطوع بوقوعه وإن وردت مع غيره فلمغزى بلاغي يدل عليه السياق ،فماهو معروف أن إن تستعمل فيما يخالطه الشك[6].

ومن الارتباط السببي بين جملتي الشرط قوله تعالى﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾[7] فعدم وجود الهدى سببه أن الله ضلله فالنور منه وبسببه والبعد عنه ضلال وظلام .

ومن الارتباط التقابلي في قوله تعالى﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾[8] فإظهار الخير أو إخفاؤه أو العفو عن السوء فإن الله يعف عنكم عند القدرة

---

[1] الوجيز للواحدي ،ج1 ،ص 296.

[2] النساء ، 145.

[3] تفسير الطبري ،ج9 ،ص 337.

[4] سورة النساء ، 142.

[5] تفسير الماردي، النكت والعيون ، ج1 ،ص 538.

[6] ينظر : الايضاح ،ص 57. وكذا البلاغة فنونها وأفنانها، ص338.

[7] النساء ، 143.

[8] النساء ، 149.

عليكم"كما أَنكُمْ فعلتم الْخيرَ جهرا وَخفيَة وَعفَوْتُمْ عند الْمقدرة عَلَى الْأَخذ بِحقِكمْ، لِأَنَّ الْمأْذون فِيه شَرْعا يعتَبَرُ مقدورا لِلْمأْذونِ، فجواب الشرط وعد بِالْمغفرةِ لهمْ"[1].

ويدل الشرط على أن الله غني عن عباده فلا يضيره كفرهم فهو مالك كل شيء في قوله تعالى﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[2]. أي " تكذبوا محمد وتكفروا نعمة الله عليكم به ، لا تضرون إلا أنفسكم لأن الله غني عنكم"[3]" ولا يتضرر بِكفرانكم" [4]والارتباط بين جملتي الشرط والجواب تقابلي فالله غني عمن كفر ولا يضير إلا نفسه فسبحانه له ملك مافي الارض وما في السماء ولا ينقصه من كفر من ملكه شيئا .

4 . الجملة الظرفية:

وردت الجملة الظرفية ثماني مرات بنسبة قدرها 5.12%. ومن الجمل الظرفية الواردة في هذا المحور ﴿ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾[5] "جملتين جيء بهما صفة لمذبذبين وهؤلاء أحدهما إشارة إلى المؤمنين، والآخر إشارة إلى الكافرين من غير تعيين، إذ ليس في المقام إلا فريقان فأيهما جعلته مشارا إليه بأحد اسمي الإشارة صح ذلك، والعرب تأتي بهذا التركيب المشتمل على لا النافيه مكررة في غرضين : تارة يقصدون به إضاعة لأمرين، وتارة يقصدون به إثبات حالة وسط بين حالين،"ورجح صاحب التحرير والتنوير أن المعنى هنا أنهم ليسوا من المؤمنين ولا من الكافرين، وهم في التحقيق إلى الكافرين كمادلت عليه آيات كثيرة .فهم لتذبذبهم مضطربين ، أضاعوا الانتماء إلى المسلمين وفارقوا النصاري، والقصد تحقيرهم لينبذهم الفريقان .

---

[1] التحرير والتنوير، ج6 ،ص725.

[2] النساء ، 170.

[3] الوجيز، للواحدي ،ج1 ،ص303.

[4] ابن كثير ،ج2 ،ص 467.

[5] النساء ، 144.

ومن الجمل الظرفية المقترنة بالباء الجارة قوله تعالى﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآَيَاتِ اللَّهِ ﴾[1]. " بنقض هؤلاء الذين وصفتُ صفتهم من أهل الكتاب"ميثاقهم"، يعني: عهودهم التي عاهدوا الله أن يعملوا بما في التوراة "وكفرهم بآيات الله"، وجحودهم"بآيات الله"، يعني: بأعلام الله وأدلته التي احتج بها عليهم في صدق أنبيائه ورسله وحقيقة ما جاءوهم به من عنده "[2].﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[3]." يَشْهَدُ عَلَى الْيَهُودِ أَنَّهُمْ كَذَّبُوهُ وَطَعَنُوا فِيهِ، وَعَلَى النَّصَارَى أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ شَاهِدٌ على أمته"[4] .

ومن الجمل الظرفية المقترنة بالجارة الباء قوله تعالى ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾[5]. " الْبَاء فِي قَوْلِهِ: فَبظلْمٍ لِلسببِيةِ، وَالتنكِيرُ وَالتنْوِينُ لِلتعْظِيمِ، أَيْ: فَبِسَبَبِ ظُلْمٍ عَظِيمٍ حَرَمْنا عليهم طيبات أحلت لهمّ"[6]. وقد قدم السبب على المسبب تنبيها على فحش الظلم وتقبيحا له وتحذيرا منه [7].

ثاني عشر . في المحور الثاني عشر "أحكام الكلالة":

جدول النسب:

فعلية	اسمية	شرطية	ظرفية
3جمل	جمله واحده	4جمل	00
%37.5	%12.5	%50	%00

هذه المحاور من السورة الكريمة ابتدأت بعلاقات الأسرة وتكافلها الاجتماعي، والكثير من التنظيمات الاجتماعية هاهي تربط أواخر السورة بأولها بعودتها للحديث عن المواريث

---

[1] النساء ، 155.

[2] تفسير الطبري ، ج9 ،ص363.

[3] النساء ، 159.

[4] تفسير الرازي ، ج 11،ص263.

[5] النساء ، 160.

[6] فتح القدير، للشوكاني ،ج1 ،ص 618.

[7] ينظر: تفسير البحر المحيط ،ج3 ،ص394.

وبالضبط عن أحكام الكلالة وهي على قول أبي بكر رضي الله عنه وهو قول الجماعة: مالي فيها ولد ولا والد.

وكما هي جل آيات المواريث جاءت بصيغة الشرط ، هنا أيضا الصيغة نفسها تعتلي نسب الجدول بحضورها الأول . لتختم آيات الميراث والسورة كلها بذلك التعقيب الرباني الذي يرد الأمور كلها لله ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيما ﴾[1] " صيغة جامعة شاملة " بكل شيء" من الميراث وغير الميراث. من علاقات الأسر وعلاقات الجماعات من الأحكام والتشريعات ..فإما إتباع بيان الله في كل شيء، وإما الضلال ....طريقان اثنان لحياة الناس لا ثالث لهما : طريق بيان الله فهو الهدى. وطريق من عداه فهو الضلال . وصدق الله :فماذا بعد الحق إلا الضلال "[2]

1 . الجملة الشرطية :

يأتي ترددها في المقدمة نظرا لما في الشرط من بيان للأحكام وتقريب للأفهام ،وقد وردت بنسبه 50%وبعدد أربع جمل اقترنت كلها بأداة الشرط "إن " وكان الارتباط بين جملتي الشرط والجواب في هذه الجمل سببيا ، منه في قوله تعالى﴿ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾[3] فنصف التركة للأخت سببها أن المتوفي ليس له ولد ، فإن كان له ولد لما ورثت شيء فهو يحجبها .

كذلك في قوله تعالى﴿ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾[4] بين جملتي الشرط والجواب ارتباط سببي ، فإن كان المتوفي ليس له ولد وله أختان اثنتان فنصيبهما ثلثي التركة ، وما كان هذا النصيب لوكان له ولد ، أو إن كانت أخت منفردة فجواب الشرط يسببه حالة جملة الشرط .

---

[1] النساء ، 176.

[2] في ظلال القرآن ،ص 1196.

[3] النساء ، 176.

[4] النساء ، 176.

2 . الجملة الفعلية :

الثانيه في الترتيب من حيث حضورها في المحور الأخير من سورة النساء بنسبه 37.5% بعدد ثلاث جمل من ثمانية .

يقول تعالى﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾[1] والاستفتاء هو طلب الفتيا. ومعناها إرادة معرفة حكم شرعي لله في أمر لا يجد السائل علماً له فيه"[2] تدل الجملة الفعلية على إرادة التغيير فالصحابة يسألون رسولهم عن أحكام الكلالة التي يجهلونها ، إنهم ينسجمون مع الطريق الصحيح المبين من رب السماء يأتون بما طلب وينتهون عما نهوا عنه وحذروا منه .

وكما هي الجملة الفعلية تعطي تغيير وتحول في المسار فإنها في الخطاب القرآني تضفي نوع من الحركية على الآيات حيث يقول تعالى﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾[3] " تختَتَم السورة بذلك التعقيب القرآني الذي يردّ الأمورَ الى الله ويربط تنظيم الحقوق والواجبات والأموال وغير ذلك"[4] فقد أبعدت سير الخطاب عن الجمود والثبات لمعالجة أحوال المسلمين وإقامة الحق بينهم عن قناعه واطمئنان .

3 . الجملة الاسمية:

جاء لها رسم واحد في هذه الختامية لهذه السورة الكريمة وقدر ب 12.5% ، في قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾9 وكما ابتدأت سورة النساء بجملة اسمية تختمها أيضا بجملة اسمية تثبت إحاطة الله بكل شيء ولا يخفى عنه شيء في الأرض ولا السماء وما لنا إلا طريقان طريق الهدى إلى الله وطريق الضلال .

[1] النساء ، 176.

[2] تفسير الشعراوي ،ج 5 ،ص 2878.

[3] النساء ، 176.

[4] تيسير التفسير للقطان ،ج1 ،ص 372.

الفصل الثاني

التقديــم والتأخيــر

ودلالاتهما في سورة النساء

أوّلا . تقديم المسند إليه على المسند

ثانيا . تقديم المسند على المسند إليه

ثالثا . التقديم والتأخير في معمولات الجملة

يقول عبد القاهر الجرجاني " هو باب كثير الفوائد, جم المحاسن, واسع التصرف ، بعيد الغايه،لايزال يفتر لك عن بديعه، ويقضي بك إلى لطيفة، ولاتزال ترى شعرا يروقك

مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان " [1].

وقد تحدث عنه عبد العزيز عتيق حين قال : "وعلى هذا فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه ، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها "[2]

فللتقديم والتأخير ميزة فريدة ترفع درجات الكلام إلى منابر البلاغة، ومنصات الإعجاز، وخاصة عندما يكون هذا الكلام بعيدا عن عبث العابثين، والغرض منه زيادة الإيمان واليقين، ومن أحسن من الله قيلا .

وسيتعرض هذا الفصل إلى التقديم بين جزأي الجملة يشمل تقديم المبتدأ على الخبر سواء كان الخبر فعلا أو في قوة الفعل ، كما يشمل تقديم الخبر على المبتدأ سواء كان مفردا أو شبه جملة ، ثم أتعرض إلى تقديم المعمولات .

أوّلا . <u>تقديم المسند إليه على المسند:</u>

لاحظ البلاغيون[3] أن تقديم المبتدأ على الخبر يكون لعدة أغراض بلاغية وذلك تبعا لحالات المبتدأ وأنواع الخبر. ومن أهم تلك الأغراض التشويق، والاختصاص ،وتقوية الحكم, والتعميم ، وقد تتفرع عنها أغراض أخرى خاصة بكل موقف .

1. التشويق :

هو تلهف المتلقي لسماع الخبر حيث يدفعه المبتدأ إلى ذلك دفعا بما يثير في نفسه من فضول وشوق للوصول إليه . ومما أبرز هذه الحالة في سورة النساء

قوله تعالى :

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[1].

---

[1] دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ص106.

[2] في البلاغة العربيه , ص133.

[3] ينظر : المفتاح ، ص 113.

إن تقديم المسند إليه (الذين) المؤكد بأداة التأكيد (إن) مع جملة الصلة المشيرة إلى وضع (قد سبق للسامع علم به)[2] ، وما تحمله الجملة من خصائص لفظية دقيقة في (يأكلون) وكذا (ظلما) . كل هذه المقدمات أثارت في نفس المتلقي لهفة ملحة لمعرفة الخبر (المسند) لأنه يحمل حكما إلهيا في حق هذه الفئة ،فجاء الخبر صورة من أدق الصور لإبراز هذا الأكل بأبشع ما يكون عليه الظلم ، وأبلغ ما يأتي به التنفير، فصادف في نفس المتلقي الشوق ولا بد وأنه سيثمر سلوكا سويا .

ثم لا يخفى ما تحمله الآية من جملة مؤكدات أولها حرف التوكيد (إن) واسمية الجملة وتكرار الفاعل بإعادته في الضمير المتصل [3] في (يأكلون) ، وإعادة هذه المؤكدات نفسها في جملة الخبر ، وكذا الإطناب في (يأكلون في بطونهم) ، وكذا الجزم بسوء المصير بأسلوب التوعد ونبرة الاستعلاء في قوله تعالى (وسيصلون سعيرا) . كل هذه المزايا أو معظمها تختفي لو جاء أسلوب النهي مباشرا بتقديم الفعل المنهي عنه مثل : لا تأكلوا أموال اليتامى أو نحو ذلك . فكان للتقديم فضل التشويق والتأكيد معا .

ومن ذلك قوله تعالى :

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آَمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾[4].

هذه الآية الكريمة تصور حال فئة ضالة ، " الإيمان عندهم أدون شيء وأهونه"[5] ، فلا تملك النفس إلا أن تضيق ذرعا بهم وتتشوق إلى جزاء رادع لهم ، فيطالعنا الخبر في قوله تعالى (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) وأنى لهم الدراية والمغفرة ، والإيمان الخالص الثابت الذي يقتضيها غير موجود في صدرورهم .[6]

---

[1] النساء ، 10.

[2] ينظر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ص200.

[3] وذلك أن الفاعل الحقيقي هو لفظة الذين وإن سبقت الفعل وأعربت اسما لإن .

[4] النساء ، 137.

[5] تفسير أبي السعود ، ج 1 ، ص595.

[6] ينظر : تفسير روح المعاني ، م2، ج5 ، ص171.

فكان تقديم المسند إليه (الذين) المؤكد بالحرف الناسخ وجملة صلته وما عطف على الصلة عاملا مهما في بث الشوق إلى الخبر الذي لم يرد إلا بعد طول نفس .

ب- التخصيص:

وهو من المعاني البلاغية الرائعة التي يفيدها التقديم بوجه عام وفي تقديم المسند إليه بشكل خاص ، وقد أوضح له البلاغيون مطلبين يجب توافرهما في الجملة الخبرية :

. الأول : أن يسبق المسند إليه بنفي .

. الثاني : أن يكون الخبر فعلا[1]أو ماهو في قوة الفعل [2].

فإذا توافر هذان المطلبان في الجملة الخبرية كان التقديم للتخصيص لا محالة . مثال الخبر الفعلي " ما أنت سعيت في السوء " ومثال الخبر الشبيه بالفعل " ما أنت مقصر في واجبك ". وقوله تعالى﴿ ما أنت علينا بعزيز ﴾[3] حكاية على لسان قوم شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

والتخصيص في هذا الأسلوب يعني : نفي الخبر عن المسند إليه وإثباته لغيره [4] ، فكأن المتكلم يرمي بهذا إلى هدفين ، أولهما : أن ينفي الخبر عن المسند إليه . وثانيهما : أن يثبته لغيره عن طريق التنويه لا التصريح ، وهذا ما فهمه نبي الله شعيب من قول قومه (وما أنت علينا بعزيز) لذا رد عليهم بقوله﴿ يَاقَوْمِ أرِهْطِي أَعزُّ عَلَيْكُم مِنَ الله ﴾[5] مدلالا على أن ماجاء به هو من عند الله لا مراء فيه .

ومما جاء في التخصيص من سورة النساء:

قوله تعالى :

---

[1] هذا مذهب الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز ، ص124.

[2] تفسير الزمخشري ، ج2، ص231 .

[3] هود ، 91.

[4] ينظر الإيضاح ، ص33

وكذا شروح التلخيص، ج1، ص396.

[5] هود ،92.

• ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

فكان تقديم المسند إليه (التوبة) على المسند (يعملون السيئات) ، و الآية الكريمة بدأت بأداة النفي لتوضح أنه " لا يكون تائبا من لم يتب إلا مع حضور الموت "[2] فهذه لا تسمى توبة[3] عند الله وإن جدوا في طلبها ، وكذلك من مات على حال كفره وإن تفانى أهله في الاستغفار له . وقد ذيلت الآية ببرهان ناصع في نفي هذه التوبة ، قال تعالى : (أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما).

إذن خصت توبة هذا الصنف بعدم القبول دون سائر أنواعها وهذا هو معنى التخصيص في الحكم .

جـ – تقوية الحكم :

عندما يختل شرط من الشرطين المحققين للتخصيص يكون الغرض البلاغي من تقديم المسند إليه غالبا تقوية حكم الإسناد .إلا أن يوجد بالجملة ما يفيد التخصيص بغير تلك الشروط [4] فيكون الهدف مزدوجا بين الاثنين .

والذي نعنيه بتقوية الحكم هو قوة العلاقة في الإسناد بين المسند والمسند إليه ،أي إثبات الحدث الذي يحمله المسند إلى المسند إليه بشكل لا يخالطه الريب أو التقليل، ليزيل ما بنفس المتلقي من الشك والتردد وصوره هي :

1. أن يتقدم المسند إليه على النفي.

ومثال ذلك في سورة النساء قوله تعالى :

---

[1] النساء ، 18.

[2] ينظر المحرر الوجيز لابن عطيه ، ج2، ص25.

وكذا روح المعاني للألوسي م2، ج5 , ص239.

[3] روى ابن كثير عن أبي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :" إن الله يقبل توبة عبده أو يغفر لعبده مالم يقع الحجاب " قيل وماوقوع الحجاب قال ." تخرج النفس وهي مشركة" .ولهذا قال الله تعالى: (أولئك إعتدنا لهم عذابا أليما). أي موجعا شديدا مقيما .ج1 ، ص465.

[4] أحيانا يتأخر النفي عن المسند إليه , أولا يوجد نفي البتة, ومع هذا تعطي الجملة معنى التخصيص ويكون مرد ذلك السياق العام أو وجود ملابسات خاصة بالموقف . لكن التخصيص بهذه الصورة يفيد إثبات الحكم للمسند إليه وتفرده به دون غيره وذلك عندما تخلوا الجملة من النفي .

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

وذلك أقوى وأبلغ من أن يقال : لا يظلم الله مثقال ذرة لضياع التأكيد بأن والتأكيد باسمية الجملة والتأكيد في التخصيص ، فقد تضافر السياق على الدلاله بأن الله وحده هو الذي لا يقع منه جنس الظلم ولا أقل القليل منه سبحانه جل شأنه، فتقدم المسند اليه لفظ الجلالة على حرف النفي .

ومثله قوله تعالى :

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[2] .

في هذه الصورة تقدم المسند إليه (الله) على حرف النفي (لا) فاكتسب الأسلوب بهذا قدرا كبيرا من القوة والتأكيد والتنبيه على جدية الموقف وعدم المهادنة فيه . ولو جربنا تغييره بأي صورة أخرى مثل : لا يغفر الله أن يشرك به ، لفات المعنى شيء كثير مما ذكر .

كما أننا نلمح هنا معنى التخصيص بجانب تقوية الحكم , وذلك لتفرده سبحانه بهذا العمل حسب عدله ومشيئته .

ومنه قوله تعالى :

• ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[3] .

هذا المقطع تذييل لآية حملت أهم أمر نزل به ، وكذا عدة أمور لا يمكن صلاح المؤمن إلا بها؛ يقول تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورً ﴾[4] .

---

[1] النساء ،40.

[2] النساء ، 116.

[3] النساء ، 36.

[4] النساء ، 36.

أمور شتى ، كلها تصور معنى الخضوع والإحسان ولين الجانب ، فلا مراء في أن تذييلا بهذه الجملة التي يتقدم فيها المسند إليه (الله) على حرف النفي ليجلب معه جملة مؤكدات لتقوية حكم الإسناد .

- ومثله قوله تعالى :(إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما) .

وذلك في معرض النهي عن المجادلة عن الخائنين بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[1] ، يتقدم المسند اليه

(الله) على حرف النفي ،

قال ابن عطية : " الخوان هو الذي تكرر منه الخيانة ، والأثيم هو الذي يقصدها "[2] . فكيف لا يتأكد حكم الإسناد في عدم محبة الله سبحانه وتعالى لهما ، وهذين الموضعين السابقين لتقوية حكم الإسناد لا غير ، فهذا الأمر لا يخص المولى سبحانه وتعالى وحده بل يدخل فيه كل صالح من عباده .

2- من صور تقوية الحكم كون الخبر مثبتا مع تقديم المسند إليه ومجيء المسند فعلا أو في قوة الفعل .

وسر تأكيد الحدث وتقوية الحكم يعود إلى حالة نفسية وذهنية شرحها عبد القاهر الجرجاني قائلا : "فإن ذلك من أجل أنه لا يؤتى بالاسم معرى من العوامل إلا بحديث قد نوي إسناده إليه .وإذا كان كذلك ، فإذا قلت "عبد الله " فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ،فإذا جئت بالحديث فقلت مثلا : "قام " أو قلت " خرج" أو قلت : "قدم" فقد علم ما جئت به وقد وطأت له وقدمت الإعلام فيه ، فدخل على القلب دخول المأنوس به ، وقبله قبول المهيأ به له ، المطمئن إليه ، وذلك لا محالة أشد لثبوته ، وأنفى للشبهة ، وأمنع للشك، وأدخل في التحقيق "[3]. وفي هذا تقوية للحكم الذي يسند إلى هذا الاسم المسند إليه . وينقسم في سورة النساء إلى قسمين :

أ . كون الجملة حالية :

---

[1] النساء ، 107.

[2] المحرر الوجيز ، ج2، ص110.

[3] ينظر : دلائل الاعجاز، ص 132.

وقد وردت الجملة الحالية المبتدئة باسم في ستة مواضع من سورة النساء ، واتسمت جميعها بطابع الإثبات مع كون المسند إليه ضميرا والمسند مشتقا ، إلا واحدة كان المسند جارا ومجرورا لكنه يؤول بفعل أو مشتق[1].

ففي قوله تعالى :

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[2].

الجملة الحالية[3] (وأنتم سكارى)أكدت النهي عن قرب الصلاة وهم على تلك الحال المنافية لتمام العقل والمشاعر" لأن السكر علة تلحق العقل "[4]وصاحبها جدير بالابتعاد عن أفضل عمل في الاسلام. ومن هنا كانت مؤذنة بتغيير شأن الخمر والتنفير منها لأن المخاطبين يومئذ هم أكمل الناس إيمانا وأعقلهم بالصلاة فلا يرمقون شيئا يمنعهم من الصلاة إلا بعين الاحتقار[5]وكان هذا تدريبا على تركها . وسكارى جمع تكسير سكران وزنه فعلان صفة مشبهة باسم الفاعل، ولهذا فهي في قوة الفعل وعليه تقدم المسند إليه الذي هو الضمير (أنتم) .

وكذا قوله تعالى:

- ﴿ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ [6]

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[7].

وأيضا في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[1] .

---

[1] ينظر: شرح ابن عقيل ج1 ، ص 197.

[2] النساء ، 43.

[3] ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ج2، ص 57.

[4] الكشاف للزمخشري ، ص269.

[5] ينظر: التحرير والتنوير ، ج 5 ، ص 61.

[6] النساء ، 92.

[7] النساء ، 124.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾[2] .

فالجمل الحالية: (وهو مؤمن) ، (وهو محسن) ، (وهو خادعهم). جميعها بدأت بالضمير الذي هو مبتدأ (مسند إليه) وأخر فيها المسند إشعارا بتقوية الحكم وعمق الصلة بين جزئيها : المسند والمسند إليه ، وتأكيدا للحدث الذي أتت فيه الجملة حالا .

ب- ومن أمثلة تقوية الحكم التي تعود الى الحالة النفسية والذهنية أيضا وهي متعدده في سورة النساء:

قوله تعالى :

- ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾[3]

قدم المسند إليه في (الله يفتيكم)لتمييز هذا الإفتاء عن غيره حيث أن المسند أمر تحيرت فيه عقول القوم وهم اصل الاسلام ويعلمون بإسلامهم أن الجاهليه جحدت النساء أبسط حقوقهن لذا طلبوا " الإفتاء الذي هو تبين المبهم وتوضيح المشكل منه سبحانه "[4]. ومع ما أفاده تقديم لفظ الجلالة من تقوية حكم الإسناد حمل الأسلوب معنى الوعد والبشرى المستمرين بدليل الفعل المضارع منبها المسلمين على وجوب العودة إلى كتاب الله في الأحكام التي جاءت في شأنهن[5].

ومن مثله قوله تعالى :

- ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[6] .

المسند إليه لفظ الجلالة المقدم في جملة (والله يريد أن يتوب عليكم) أفاد بلا شك تأكيد وتقوية حكم الإسناد ، ويتضح ذلك أكثر عند مقارنة موضع الشاهد بالآيتين السابقة واللاحقة

---

[1] النساء ، 125.

[2] النساء ، 142.

[3] النساء ، 127.

[4] تفسير أبي السعود ،ج1، ص 590.

[5] ينظر :تفسير البحر المحيط ،ج 3 ، ص 359.

[6] النساء ، 27.

في : (يريد الله ليبين لكم)[1] ، (يريد الله أن يخفف عنكم)[2] ، بل حتى تكملة الآية نفسها عند بيان إرادة متبعي الشهوات: (ويريد الذين يتبعون الشهوات) . جميعها تقدم فيها المسند على المسند إليه ، والغرض من المخالفة في (والله يريد) يكمن في نوعية الحدث الفعلي لأن إرادة التوبة عمل خاص به سبحانه ، ومن لم يتب الله عليه فلن تنفعه توبة من في السماوات والأرض ، وذلك بخلاف المواضع الأخرى فالأمر فيها على اتساع ، لأن التبيين والتخفيف المطلوبين في الآيتين السابقة واللاحقة من الأمور التي تدخل ضمن أمور التكليف.

كما أن إرادة متبعي الشهوات ولو أنها مستمرة إلا أنها في ضعف وتذبذب دائمين . إذن تقديم المسند إليه أفاد تقوية الحكم لا محالة مع خصوصية الحدث لله سبحانه وتعالى وهذا ما ذهب إليه الشيخ عبد القاهر الجرجاني .

أما السكاكي فقد اشترط في إفادة الإختصاص أمرين :

أوّلهما: أن يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخرا ، بأن يكون فاعلا في المعنى فقط كقولك: " أنا قمت" فإنه يجوز أن تقدر أصله : " قمت أنا" على أن "أنا" تأكيد للفاعل الذي هو التاء في "قمت".

فقدم "أنا" وجُعل مبتدأ .

وثانيهما : أن يقدر كونه كذلك[3] ، أي يعتبر بصحة تقديره[4] . وأوضح ذلك الخطيب بقوله : فإن انتفى الثاني دون الأول ، كالمثال المذكور إذا جرى على الظاهر وهو أن يقدر الكلام مبنيا على المبتدأ والخبر ، ولم يقدر تقديم أو تأخير، أو انتفى الأول بأن يكون المبتدأ إسما ظاهرا فأنه لا يفيد إلا تقوية الحكم[5] دون التخصيص.

وأكده السكاكي صراحة في موضع آخر بقوله : " حق المعرف حمله على وجه تقوية الحكم وحق المنكر حمله على وجه التخصيص."[6] .

---

[1] النساء ،26.

[2] النساء ،28.

[3] ينظر : الإيضاح ، ص66.

[4] ينظر : مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني ضمن شروح التلخيص، ج2 ، ص407.

[5] ينظر : الايضاح ، ص66.

[6] المفتاح ، ص107.

مـع أن نظـم الجملـة بهذا التركيـب (والله يريـد أن يتـوب عليكم) يفيد التأكيد باسمية الجملـة وبـدئها بلفظ الجلالـة وهو محـور الحـديث وبتكـرار الفاعـل . كـل هـذا يقتضـي تأكيـد الخبـر وتحقيقـه وتخصيصـه بـالمولى سبحانه وتعـالى دون سواه .وفـي هـذا أعظـم بشرى لأمـة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله تعالى :

- ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [1].

فقد تطلب تصوير الموقف تأكيد نسبة الخداع إلى هؤلاء المنافقين لتأصيل هذه الصفة في نفوسهم ، فقدم المسند إليه (المنافقين) المؤكد بأداة التأكيد ليدل دلالة قوية على ذلك ،ولهذا كان جزاؤهم من جنس العمل وبأسلوب مماثل[2] في قولـه تعـالى (وهو خـادعهم) ، وقد فسر هذا الخداع منـه سبحانه وتعالى بأنـه استدراج لهم في الدنيا ، وحتـى يوم المعاد يعطون كما يعطـى المؤمنـون المخلصـون نـورا فيمشـون بـه مطمئنـين مستأنسـين حتـى إذا كـانوا فـي أمـس الحاجة إليه نُزع عنهم[3] ، واستحقوا سوء المصير الموضح في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[4].

بصورة مشابهة أيضا في تقوية الحكم .

ثانيا . تقديم المسند على المسند إليه :

---

[1] النساء ، 142.

[2] ينظر : مختصر سعد الدين ضمن شروح التلخيص،ج 1 ، ص421. وكذا: المنهاج الواضح لحامد عوني ، ج2 ، ص377.

[3] ينظر : البحر المحيط ، ج 3، ص377.

وكذا: تفسير أبي السعود ، ج 1، ص598.

وكذا التحرير والتنوير ، ج 5، ص219.

[4] النساء ، 145.

المسند تأخيره أظهر ، خاصة في الجملة الإسمية لكن قد يقتضي المقام تقديمه ومن ذلك :

أ . تخصيصه بالمسند إليه على سبيل الإثبات :

كقوله تعالى : ﴿لكم دينكم ولي دين ﴾[1] . قدم المسند (لكم) ليفيد تخصيصه بالمسند إليه[2] (دينكم) وقصره عليه . أي إثبات المسند إليه للمسند خاصة لا يتعداه إلى غيره وهذا لأن الجملة مثبتة .

ويمثل هذا اللون في سورة النساء آيات كثيرة منها على سبيل المثال:

قوله تعالى :

- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[3].

فكان تقديم المسند (للرجال) على المسند إليه (نصيب) لإثبات هذا النصيب للرجال خاصة ، ثم نصيب للنساء خاصة، وهكذا حقق تقديم المسند حكما شرعيا عظيما وجددا على من نزل عليهم القرآن الكريم ، وقد كانوا يجحدون نساءهم ذلك الحق حتى أنزل الله لهم الهدى، وقدم نصيب الرجال على نصيب النساء مراعاة لما لهم عليهن من درجة ومداراة لهم في تغير ما رسخ في أذهانهم من هضم لحقوقهن .

وقد تقدم الخبر(المسند) على المسند إليه أيضا بغرض تخصيص المسند بالمسند إليه على سبيل الإثبات في قوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾[4]. تقدم المسند (منهم)الذي هو خبر مقدم على المسند إليه (من) حيث خص

---

[1] الكافرون ، 6.

[2] ينظر : مفتاح العلوم ، ص105.

[3] النساء ، 32.

[4] النساء ، 55.

المولى أسلاف اليهود بالإنقسام والتذبذب ونعى على أخلافهم هذا لأنهم على نهج أسلافهم سائرون تبكيتا لهم ومنقصة وتوعدا [1]بسوء المصير بدليل آخر الآية .

ومن أوضح ما يمثل الإختصاص في الإثبات قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾[2]. فتقدم المسند (لله) على المسند اليه (ما) لأنه سبحانه قد خص نفسه وحده دون سواه بهذا الملك والملكوت في السماوات والأرض ، وقد ساعد على توضيح هذه الصورة من الإختصاص تقديم المسند على المسند إليه .

ولا يقتصر على الجملة الإسمية بل قد يعطي تقديم المسند الفعلي ذلك أيضا وأظهر أغراضه التخصيص للتشريف وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[3] .

فأتى تخصيص عيسى عليه السلام بالرفع الحاصل من المولى عز وجل بلفظ الجلالة تكريما له وتشريفا وردا على من أنكر هذا ، فتقدم المسند (رفع)على المسند اليه (الله).

ب–تخصيصه بالمسند إليه على سبيل النفي :

أما إذا كانت الجملة منفية فيكون المعنى نفي المسند عن المسند إليه خاصة وإثباته لغيره مثل قوله تعالى : "(لا فيها غول)[4]"[5] حيث نفى الغول عن خمر الجنه خاصة وأثبته لسواها من الخمور، ولهذا لم يقدم المسند في (لا ريب) في قوله تعالى ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ [6]حتى لا يثبت الريب لباقي الكتب المنزلة من عند الله غير القرآن[7].

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير ، ج5، ص 89.

[2] النساء ، 126.

[3] النساء , 158.

[4] الصافات ، 47.

[5] لا فِيها غَوْلٌ أي لا تغتال عقولهم، فتذهب بها. يقال:
«الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفوس» . وغالني غولا. و «الغول» البعد. : غريب القرآن لابن قتيبة، ج1،ص318 .

[6] البقرة ، 2.

[7] ينظر: في شروح التلخيص ، ج 2، ص109.

ومثاله في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴾[1]. قدم المسند اليه (لمؤمن) الذي هو خبر كان مقدم على المسند الذي هو المصدر المؤول (أن يقتل) ، فقد نفى المولى عن المؤمن خاصة قتل أخيه المؤمن عمدا لأنه مما يوجب غضب الله عليه ، والمؤمل من المؤمن تحاشيه ذلك والنفور منه .

وقد يأتي النفي بالاستفهام الإنكاري كما في قوله تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾[2]. قدم المسند إليه (لهم)على المسند (نصيب) الذي هو مبتدأ مؤخر و الآية نزلت في أهل الكتاب فقد خصهم المولى بهذا الإنكار الذي تحمله همزة الإستفهام وأنكر عليهم أن يكون لهم نصيب من ملك[3] الله لأن حالهم يدل على اعتقادهم بهذا ، وعلل سبحانه عدم استحقاقهم لهذا النصيب وأنكره عليهم لما هم عليه من اللؤم ودناءة النفس[4] لأنه لو جعل لهم نصيبا من الملك لا يعطون الناس نقيرا منه لشدة بخلهم وقوة حسدهم [5]والمقصود من هذا التخصيص المبالغة في احتقارهم ، فهم أحقّ بذلك .

ثالثا . التقديم والتأخير في معمولات الجملة:

ومثاله قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ ﴾[6]. قدّم المفعول به (أحدهم) إمعانا في التهويل لهذا المتهاون في أمر التوبة حتى أصبح على شفا حفرة من الموت ، فصور هذا التقديم التسابق العنيد بين الإنسان والموت ، فقدم المفعول على الفاعل .

ومن تقديم المفعول به قوله تعالى : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾[7].

---

[1] النساء، 92.

[2] النساء ، 53.

[3] ينظر : الكشاف ج1 ، ص274.

[4] ينظر تفسير أبي السعود ،ج1، ص536.

[5] ينظر: تفسير فتح القدير للشوكاني ،ج1، ص478.

[6] النساء، 18 .

[7] النساء ، 8.

قدم المفعول به هنا (القسمة) لفرط العناية به ، " لأنها المبحوث عنها ولأن في الفاعل تعدادا ، فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب أطراف الكلام" [1]، وقيل: قدمت القسمة لتكون أمام الحاضرين في اللفظ كما أنها أمامهم في الواقع[2] .

ومن تقديم المفعول به قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾[3]، فكلمة (كلا) مفعول أول بـ (وعد) مقدم عليه ،(والحسنى) مفعول ثان [4]، وسر تقديمه ما تحمله لفظة(كل) في هذا المقام من البشرى لكافة المؤمنين بمافيها من إرادة العموم ، لأنهم فسروا الحسنى بالجنة ، وقد وعد بها المتقون كافة[5] .

وكما يقدم المفعول قدم الحال أيضا في قوله تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[6]. "رسلا" حال موطئة لما بعدها [7] تنبيها لعظم مكانتهم وما حملوا به من قبل الله ، لأن إرسالهم من قبله تعالى حجة دامغة لكافة الناس وهداية لهم إلى الطريق المستقيم .

ومن تقديم الجار والمجرور على عامله قوله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾[8].

قدم الجار والمجرور (بظلم) للتنبيه من أول الآية على سبب ذلك التحريم الذي لم يفرضه الله عليهم منذ البداية ، وإنما فرض عليهم لتعسفهم ، فكان إيذانا بكمال عظم ظلمهم الخارج عن حدود الأشباه والأشكال [9].

---

[1] تفسير أبي السعود ، ج1 ،ص487 .

[2] ينظر : روح المعاني ، م2 ، ج 4، ص212.

[3] النساء ، 95.

[4] ينظر : التبيان في إعراب القرآن ، ج1 ،ص383.
وكذا الدر المصون ، ج 2 ، ص 417.

[5] ينظر : المحرر الوجيز، ج 2 , ص98.

[6] النساء ، 165.

[7] ينظر : التبيان في اعراب القرآن ، ج2 ،ص410.

[8] النساء ، 160.

[9] ينظر : تفسير أبي السعود ، ج1، ص605.

ومن تقديم الجاروالمجرور في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1]

قدم الجار والمجرور (لهم) على المفعول به (عذابا) لإظهار الاعتناء بأن العذاب مهينا لهم ، ففيه من التهديد والتخويف ما لا يوجد لو أخر عنه .

وقد تتقدم هذه المعمولات بعضها على بعض ، وهو كثير جدا في هذه السورة الكريمة ، وأهم الأغراض لذلك التقديم شدة تعلق هذا المقدم بالحدث ، إضافة إلى لفت الانتباه إليه وحصر الاهتمام به.

من ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[2] .

في هذا المقطع من الآية عدة معمولات ، منها كلمة (شهيدا) الواقعة حالا، وكان حقها أن تلي الفعل مباشرة إلا أننا نجد الجار والمجرور (بك) وكذا (على هؤلاء) قدم عليها ، وهذا لما في المقطع من مؤثرات نفسية داعبت خواطر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أوصلته لحالة البكاء .

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[3]. قدم الجار والمجرور (لهم) على المفعول به (عذابا) لإظهار الاعتناء بأن العذاب مهيئا لهم ففيه من التهديد والتهويل ما لا يظهر لو أخر الجار والمجرور عن المفعول به .

ومن قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[4] . قدم الجار والمجرور(عنكم) على المفعول به سيئاتكم تعجيلا في إيصال البشرى التي يحملها الفعل يكفر .

وقوله تعالى: ﴿ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾[5] . فمع الإختصاص تقدم الجار والمجرور (لكم) يحمل نبرة الجد والتأكيد للفت الانتباه .

---

[1] النساء ، 18.

[2] النساء ، 41.

[3] النساء ، 18.

[4] النساء ، 31.

[5] النساء ، 90.

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾[1] .وتقديم الجار والمجرور (في الأرض) على المفعول (مراغما) ، لما تطلبه نفس المهاجر من الاستقرار إلى الأرض .

وفي قوله تعالى: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[2]. قدم الظرف (عندهم) على المفعول به فيه الكثير من السخرية والاستهزاء بأولئك الذين يبحثون عن الشيء في غير موضعه الأصلي سفها منهم وحمقا .

ونلمح ملمحا آخر في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[3] . فتقديم الجار والمجرور (عليك) على المفعول به (الكتاب) لما يبثه في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم من الطمئنينة والإيناس والعطف والتكريم .

خاتمـــة

سورة النساء من أواخر ما نزل من القرآن ، وهي من السبع الطوال بها تفصيلات كثيرة أجملت في ماقبلها ؛ من تحقيق للعقيدة ، وتنظيم المجتمع المسلم في عباداته ومعاملاته ، والكشف عن نوايا أعداء الإسلام والتحذير من مغبة التساهل معهم ، وبناء الشخصية المسلمة القوية التي تعتز بدينها وتتمسك به ، فضلا عن ما تحمله من دفاع عن حقوق الضعيفين : المرأة واليتيم ، كما أنها اختصت بعلم المواريث ، كل ذلك جعل الإبحار فيها أعظم متعة تغذي العقل والوجدان معا، وهي تغري بالبحث لأي متعطش لسبر أغوار الجماليات الكامنه فيها.

---

[1] النساء ، 100.

[2] النساء ، 139.

[3] النساء ، 113.

ومن نتائج دراسة دلالات تراكيب هذه السورة أن الجملة الفعلية كانت الغالبة حضورا في مجمل السورة بتقدير 44.21 % وجاءت في المرتبة الأولى ، وارتفعت نسبة الجملة الفعلية في المواضيع التي تتحدث عن التنظيم الخارجي أي مواجهة المسلمين باليهود والمشركين والمنافقين ، حيث كثر الأمر والنهي والتحذير منهم ومن كيدهم وبطشهم ومحاولة تصحيح عقيدتهم ودعوتهم للإيمان، ومن أمثلة الجمل الفعلية قوله تعالى (فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) حيث تدل على الأفضلية التي منحها الله للمجاهدين ، وفيها حث وترغيب في الجهاد ليأنفوا عن تركه ويؤثروه على الركون للدنيا ومتاع الحياة .

أما الجملة الإسمية فقد كانت الثانية بعد الجملة الفعلية 28.81% وكان وجودها متوسطا في كل المحاور ، ودلت في الأغلب على تأكيد و ثبات الصفات الجليلة من كرم ومغفرة وعزة ورحمة كلها لله فهو المنجى والملجأ وإليه حسن المآب، ومن الجمل الاسمية في قوله تعالى (وكان الله بكل شيء محيطا) دلت على سعة ملك الله وإحاطته بكل شيء فليس للبشر إلا اللجوء إليه ، ترغيبا في طاعته والإنقطاع إليه ، وقد إرتفعت في المحاور التي عنيت بتنظيم المجتمع من الداخل والخارج وجاءت كتعقيب رباني بعد آيات الأمر والنهي والتحذير عن تنزيهه من ظلم العباد وعدله بينهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء .

واحتلت الجملة الشرطية المركز الثالث وقارب حضورها 23.61% في كامل السورة ، ولأن الشرط يقع لإلزام حدوث الحدث أوإلتزامه فقد ورد مكثفا في مواضيع الميراث ، وتحديد أنصبة الورثة تبعا للحالات المصاحبة له ، ومن الجمل الشرطية في قوله تعالى (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله في خيرا كثيرا) هنا لمسة ربانية في حالة تعذر العشرة بين الزوجين ، وتفشي الكراهة بينهما و حتى لا تكون العلاقة الزوجية ريشة في مهب الرياح فهي مربوطة العرى بالعروة الوثقى العروة الدائمة التي تربط بين قلب المؤمن وربه وهي أوثق العرى وأبقاها .

في حين سجلنا في كامل السورة 27 جملة ظرفية وهي قليلة جدا بالمقارنه بحجم السورة حيث وصلت نسبتها 3.29 % في كامل السورة ، وانعدمت في أغلب محاور سورة عنيت بتنظيف المجتمع من داخله وخارجه من ترسبات جاهلية متعمقة في جذوره ، ومن الجمل الظرفية قوله تعالى (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) وقد ربطت الظرفية هنا الفروض

المقدرة في كتاب الله تعالى بمستحقيها ممن دلت عليهم الآية الكريمة دون غيرهم من الورثة .

وفي الفصل الثاني الذي خصص لدراسة التقديم والتأخير في السورة بينت أثر جماليته في نماذج من السورة الكريمة ، وما أبرز من محاسن وجم فوائد وتبيان خصائص المقدم وأغراضه ، وما أضفى على الخطاب من جمال وروعة بيان .

وأخيرا فهذا الجهد وعليه سبحانه وتعالى التكلان ، وما توفيقي إلا بالله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمــين .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم .

1. الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة بيروت ، ط4, 1978.
2. إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك ، صبيح التميمي ، دار الشهاب ، باتنة ، 1987.
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود ، دار الفكر ، بيروت .
4. أسرار ترتيب القرآن ، السيوطي ، تح : عبد القادر أحمد عطا.

5. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين البيضاوي ، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، 1418هـ.

6. الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، تح : عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ،القاهرة ، ط1، 1999 .

7. البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، دار الفكر، بيروت ، ط2 ، 1980.

8. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، الحسني ، تح: أحمد عبد الله القرشي ، القاهرة ، 1419هـ .

9. البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1، 1957.

10. البلاغة والاسلوبية ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان الناشرون ، الشركة المصرية العالمية للناشر لونجمان ، ط1 ، 1984.

11. البلاغة الإصطلاحية ، عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط4 ، 2001.

12. بناء الجملة العربية ، محمد عبد اللطيف حماسة ، دار غريب القاهرة ، ط1 ،2003.

13. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1984.

14. التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة ، صالح بالعيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1994.

15. تفسير ابن أبي حاتم ، ابن أبي حاتم الرازي ، تح:أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز ، الرياض ، ط1 ، 1997.

16. تفسير الشعراوي – الخواطر ، محمد متولي الشعراوي ،1997.

17. التفسير القرآني للقرآن ، يونس الخطيب ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

18. التفسير الكبير، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط3 ، 1420هـ.

19. تفسير الماوردي ، الماوردي ، تح: السيد ابن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

20. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تح : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة ، ط2 ، 1999 .

21. تفسير المراغي ،أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1،1946.

22. التفسير الوسيط ، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط،1991 .

23. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لابن عباس ،جمع : مجد الدين الفيروزآبادى ، دار الكتب العلمية ، لبنان.

24. تهذيب سير أعلام النبلاء ،الذهبي ، تح : شعيب الأرنؤوطي ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ،1992.

25. تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن ، محمد بازمول ، دار الهجرة الرياض، ط1 ،1992.

26. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ، عبد الله السعدي ، تح : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، ط1، 2000 .

27. جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، تح :أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط1، 2000.

28. الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي ، تح: أحمد البردوني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1964 .

29. الجملة العربية ، محمد إبراهيم عبادة ، الإسكندرية ، 1991.

30. جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، المكتبة العصرية ، بيروت ،ط1، 1994 .

31. الخصائص ، ابن جني ، تح : محمدعلي النجار ، دار الفكر ، 1999.

32. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي ، تح : د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق.

33. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، موفم للنشر ،الجزائر ، 1991.

34. روح المعاني في تفسير الكتاب العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين الألوسي ، دار الفكر ، بيروت ،1978 .

35. زاد المسير في علم التفسير ، الجوزي ، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط1 ، 1422 هـ .

36. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة ، 1980.

37. شرح المكودي على الألفية، أبوزيد المكودي، دار الرحاب ، الجزائر.

38. علم الجمال اللغوي ، محمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1995م.

39. علوم البلاغة والبيان والبديع ، أحمد محمد المراغي ، دار القلم بيروت ، ط2 ، 1984 .

40. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني ، دار المعرفة بيروت.

41. في البلاغة العربية ، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة ، بيروت.

42. في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط7 ،1971.

43. في النحو العربي .نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، بيروت ، ط1، 1964.

44. الكتاب ، سيبويه، تح :عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3، 1988.

45. كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض ، ياسين الأيوبي ومحي الدين ديب ، دار الشمال طرابلس ، لبنان ، ط1 ، 1990.

46. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1407 هـ .

47. لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن ، تح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1، 1415هـ.

48. لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر، بيروت .ط1 ،1991.

49. اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، دار الثقافة، المغرب.

50. مباديء في اللسانيات ، خولة طالب الإبراهيمي ، دار القصبة ، الجزائر ، ط1، 2000.

51. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب، بيروت ، ط1 ، 1422ه .

52. المختصر على تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص ، التفتازاني ، دار السرور بيروت.

53. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، حافظ الدين النسفي ، تح: يوسف علي البديوي ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ط1 ، 1998 .

54. معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق الزجاج ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1988 .

55. معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، محمد نجيب اللبدي ، دار الثقافة ، الجزائر.

56. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تح: عبدالسلام هارون ، دار الفكر، دمشق، 1979.

57. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تح : مازن مبارك ، محمد علي حمد الله ، دار الفكر، دمشق ، ط2، 1969.

58. مفتاح العلوم ، السكاكي ، منشورات المكتبة العلمية الجديدة ، بيروت.

59. المنهاج الواضح ، الماعوني ، مكتبة الجامعة الأزهرية ، القاهرة .

60. مواهب الفتاح في شرح في تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص ، المغربي ، دار السرور ، بيروت .

61. النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، ط5، 1975.

62. نظرية النظم ، صالح بالعيد ، دار هومة ، الجزائر ، 1001.

63. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ابراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ط2، 1992.

64. غريب القرآن ، الدينوري ، تح: أحمد صقر ،دار الكتب العلمية ، القاهرة ، 1978.

65. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه ، القرطبي المالكي ، تح بإشراف: أ.د الشاهد البوشيخي ، كلية الشريعة ، الشارقة ، ط1 ، 2008.

66. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، محمد بن علي الواحدي ، تح : صفوان عدنان داوودي، دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت ، ط1 ،1415 هـ.

67. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان ، تح: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، 1994.

فهرس الموضوعات